1. القيادة في القرآن الكريم: نماذج تأصيلية تطبيقية في المفهوم والسمات ومهارات البناء

Leadership in the Qur'an: Foundational and Practical Models in the Concept Characteristics and Leadership Development Skills

Author

✍

****Fouad Al-Banna***

Faculty of Arts, Taiz University, Taiz, Yemen, *fouadalbana@gmail.com*, ***ORCID: https://orcid.org/0009-0006-4959-8893***

Progress Received: 27 April 2026; Revised: 17 May 2026; Accepted: 10 June 2026; Published: 20 June 2026, ***DOI:*** *https://doi.org/10.65461/tanmyia.2026.2.2.1*

Abstract:
This research aims to examine the Qur'anic methodology for leadership development and to uncover the foundational principles presented by the Holy Qur'an in shaping a leadership personality capable of achieving vicegerency, civilization-building, and reform in the lives of individuals and societies. The research problem arises from the need to reread the Qur'anic leadership model in light of the intellectual, administrative, and civilizational crises experienced by contemporary societies, and to search for authentic criteria that contribute to preparing leaders who combine moral competence with practical capability. The research adopts the inductive-analytical method by tracing Qur'anic verses related to leadership and analyzing the leadership models presented therein, in order to derive the concepts, qualities, skills, and educational principles necessary for developing leaders. The study discusses the concept of leadership in the Holy Qur'an and its most prominent practical models. It then examines the personal and ethical qualities that a leader should possess, as well as the intellectual, administrative, and communication skills that qualify the leader to fulfill his mission. The research also explores the most important Qur'anic principles in leadership formation and preparation.The research concludes that the Holy Qur'an presents an integrated leadership model through the diversity of prophetic and human examples. Public leadership is represented in figures such as Dawud, Sulayman, and Dhu al-Qarnayn; scholarly leadership appears in the story of Musa with the righteous servant; da'wah leadership is reflected in the examples of the believer from the family of Pharaoh, the believer of Yasin, and the People of the Cave; military leadership is seen in the models of prophets and righteous kings; and transformative and liberating leadership is embodied in the missions of the prophets. In addition, economic and ethical leadership is represented by figures such as Yusuf, Shu'ayb, and Luqman, peace be upon them.The research affirms that the Qur'anic methodology of leadership is not limited to the possession of authority or influence. Rather, it is based on the integration of faith, knowledge, ethics, and competence, thereby contributing to the development of leaders capable of bringing about civilizational change and achieving comprehensive reform.

Keywords: leadership, Holy Qur'an, leadership development, leadership qualities, leadership skills, Qur'anic models, civilizational vicegerency.

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى استقراء المنهج القرآني في بناء القيادة، والكشف عن الأسس التأصيلية التي يقدمها القرآن الكريم في تشكيل الشخصية القيادية القادرة على تحقيق الاستخلاف والعمران والإصلاح في حياة الأفراد والمجتمعات، وتنبع إشكالية البحث من الحاجة إلى إعادة قراءة النموذج القيادي القرآني في ظل الأزمات الفكرية والإدارية والحضارية التي تعيشها المجتمعات المعاصرة، والبحث عن معايير أصيلة تسهم في إعداد قيادات تجمع بين الكفاءة القيمية والقدرة العملية، واعتمد البحث على المنهج الاستقرائي التحليلي في تتبع الآيات القرآنية ذات الصلة بالقيادة، وتحليل النماذج القيادية الواردة فيها، لاستخلاص المفاهيم والسمات والمهارات والقواعد التربوية اللازمة لصناعة القائد. وقد تناول البحث مفهوم القيادة في القرآن الكريم وأبرز نماذجها التطبيقية، ثم ناقش السمات الشخصية والأخلاقية التي ينبغي أن يتحلى بها القائد، والمهارات الفكرية والإدارية والتواصلية التي تؤهله للقيام برسالته، كما بحث في أهم القواعد القرآنية في صناعة القيادات وإعدادها. وتوصل البحث إلى أن القرآن الكريم قدم نموذجًا قياديًا متكاملًا من خلال تنوع النماذج الرسالية والإنسانية؛ فبرزت القيادات العامة في شخصيات مثل: داود وسليمان، وذي القرنين، والقيادات العلمية في قصة موسى مع العبد الصالح، والقيادات الدعوية في نماذج مؤمن آل فرعون ومؤمن آل ياسين وأصحاب الكهف، والقيادات العسكرية في نماذج الأنبياء والملوك الصالحين، والقيادات التغييرية والتحررية في رسالات الأنبياء، فضلًا عن القيادات الاقتصادية والأخلاقية التي جسدتها شخصيات مثل يوسف وشعيب ولقمان عليهم السلام. ويؤكد البحث أن المنهج القرآني في القيادة لا يقتصر على امتلاك السلطة أو النفوذ، بل يقوم على التكامل بين الإيمان والعلم والأخلاق والكفاءة، بما يسهم في بناء قيادات قادرة على صناعة التغيير الحضاري وتحقيق الإصلاح الشامل.

الكلمات المفتاحية: القيادة، القرآن الكريم، بناء القائد، السمات القيادية، المهارات القيادية، النماذج القرآنية، الاستخلاف الحضاري.

المقدمة:

الحمد لله الذي نزّل القرآن الكريم فُرقاناً للناس عامة وتبياناً لكل شيء، وأخرج به المؤمنين من ظلمات الضعف والجهل والفوضى إلى أنوار القوة والعلم والنظام، والصلاة والسلام على النبي القائد محمد- صلى الله عليه وسلم- الذي ربّى بالقرآن خير أمة أخرجت للناس وعلَم أصحابه المنهج الأمثل لتدبر القرآن حتى يكون لهم فرقاناً بين الحق والباطل، وهدىً في حوالك الطرق، فاستخرجوا من تدبرهم للقرآن منهجاً متكاملاً لتدبير شؤون الحياة في حقولها المتعددة وأوضاعها المختلفة وظروفها المتغيرة. أما بعد: فإن القرآن هو الهادي إلى سواء السبيل في كل شؤون الحياة، إذ يهدي المؤمنين إلى ما فيه صلاحهم في المعاش والمعاد، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: 9]. فالأقوَم: هو الأصوب والأصلح، وهو الأحسن والأفضل، وهو الأكمل والأمثل، ونلاحظ من خلال تأمل مبنى هذه الجملة أن الله قال: ﴿يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ ولم يقل : يحتوي على التي هي أقوم؛ ذلك أن القرآن محدود في مبانيه بينما الحياة شديدة السعة وسريعة التغير، ولذلك فقد أودع الله في القرآن كل عناوين الرقي في شتى ميادين الحياة، وخَبَّأ في صياغته المعجزة له سائر قواعد التفوق في شؤون المعاش والمعاد، ويحتاج الأمر إلى تأمل هذه النصوص المحدودة المباني من أجل استنباط معاني غير محدودة، وهذا ما يسمى بالتدبر الذي يُجلي بركة القرآن ويجعله حقيقةً يلمسها الناس في الواقع، بعد أن يستخرج أولو الذكر من أعماقه لكل سؤال جواباً، ويجدوا لكل معضلة حلاً، ويكتشفوا لكل مأزق مخرجا. ولأن الأمر منوط بالتدبر، فقد أمر الله حبيبه محمدا -صلى الله عليه وسلم- بالاستعداد لتحمل القرآن بما فيه من مضامين غير متناهية مليئة بالهدايات التي تتضمنها التوجيهات الآمرة والناهية، فقال له تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا * إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المُزّمّل: 1 - 4]. إذ لا يمكن للقارئ البعيد عن منهج التدبر المشار إليه هنا بالترتيل المتأني، لا يمكن له أن يتحمل القول الثقيل ولا أن يدرك ماهية المعاني الكثيفة. وتؤكد معادلة الواجب والواقع بأن من لم يتدبروا النصوص- كما ينبغي-يكونون قد جعلوا القرآن عضين، وصاروا ممن فرّقوا دينهم وأمسوا شيعاً متنافرة، وجعلوا الإسلام أشبه بالدين اللاهوتي الذي يصل الإنسان بخالقه، ولا شأن له بتنظيم حياته؛ ما يُضيّق دائرة العبادة

ويفرض نمطاً من العلمانية البغيضة، فيصبح محراب الصلاة هو مكان التعبّد، بينما تخرج الحياة من دائرة العبودية لله!

ورغم اختلاف القرآن عن الكتب السماوية السابقة في كثير من الأمور، فقد كلّف الله أنبياءه السابقين بتدبر وحي الله لهم، من خلال صياغات وعبارات مختلفة، مثل قوله تعالى ليحيى- عليه السلام-: ﴿يَايَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: 12]. وأول قوة مطلوبة هنا هي القوة العقلية التي تضمّ في أثنائها مدارِكَ متنوعة وملَكات مختلفة وطاقات متعددة. ومن المؤكد أن جميع الأنبياء قد وعوا أمر الله وطبّقوه بحسب استطاعاتهم، كيعقوب -عليه السلام- الذي أثنى الله- عزّ وجل- عليه، فقال: ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: 68]. فقد هيّأ الله له أسباب العلم ودلّه على منهج التعلم، فشمّر عن ساعد الجد وأخذ بأسباب التعلم واستثمر طاقاته العقلية في سبيل تحصيل العلم، وعصر ملَكاته الفكرية في سبيل الوصول إلى الفقه، ومع أن هذا الأمر متاح لجميع الناس بامتلاك الأدوات، إلا أن أكثر الناس لا يأخذون به؛ ولذلك فقد وصفهم في فاصلة الآية بأنهم ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ في مقابل ثنائه العاطر على يعقوب. وبالطبع فإن هناك شيئًا من التفاوت النسبي بين الأنبياء في الاستمساك بمنهج التدبر والفهم، ومن عدل الله أنه رتّب طبيعة النتائج على قدر المقدمات، فمن تدبّر أكثر، فقد فهم أكثر؛ ومن فهم أكثر، أصاب في اجتهاداته الواقعية بصورة أكبر؛ ومن هنا فقد يتفوق التلميذ على أستاذه ويتقدم الابن على أبيه في فهم حقيقة الأشياء وفي حل الإشكالات الصعبة، كما في حالة سليمان- عليه السلام- الذي تفوّق على أبيه داوود- عليه السلام- في الفهم، كما أشار إلى ذلك قوله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: 79]. وذلك حينما عُرضت مسألة على يعقوب فأخطأ في اجتهاده وأصاب سليمان. ولما كانت مجتمعاتنا الإسلامية تعاني من مشاكل التخلف بمعناه العريض، فإن الواقع يشهد بأن لُبّ المشكلات يثوي في الإنسان، وبالطبع فإن جوهر التغيير يكمن في الإنسان ذاته، وهذا ما يقرره القرآن الكريم كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: 11]. ولا شك أن حجَر الزاوية في هذا التغيير هو تغيير طرائق التعامل مع القرآن الكريم، بحيث يتم تدبره على الوجه الأمثل حتى يساعد أصحابه على تدبير شؤون حياتهم، وذلك بتجاوز أسباب التخلف ومعالجة إشكالاته والإجابة على

أسئلته، والترقي بالحياة في طريق مرضاة الله الذي قال لحبيبه محمد -صلى الله عليه وسلم-: ﴿طه * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ [طه: 1، 2]. إذ أن الله يريد لعباده السعادة والحياة الطيبة في الدنيا والفوز بالنعيم المقيم في الآخرة. ومن له أدنى معرفة بالواقع الإسلامي المعاصر، يدرك بوضوح أن مشكلة التخلف عامة وليست جزئية، ويعرف أن من أعراضها وأسبابها في ذات الوقت وجود أزمة قيادة في كافة أوجه الحياة الثقافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، وقد عبّر النبي -صلى الله عليه وسلم- عن حالِ الأمة في وقت الاغتراب القيمي بقوله: «إن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ، وهو يأرز بين المسجدين، كما تأرز الحية في جحرها» (مسلم، برقم: 146). ومن هنا فسنحاول في هذا البحث تدبر بعض الآيات ذات الصلة بما يمكن تسميته بمنهج القيادة في القرآن الكريم، حتى يتأكد لنا بأن التدبر، لو تم تفعيله كما ينبغي، كفيل بإظهار قدرة القرآن على حل كافة مشاكل المجتمعات الإسلامية التي تبدو لأول وهلة كأنها مستعصية على الحل.

أولاً: مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في غياب التصور القرآني المتكامل للقيادة في كثير من الدراسات المعاصرة، إذ تركز العديد من الطروحات الحديثة على النماذج الإدارية والفكرية الوافدة، مع ضعف العناية باستخراج المنهج القيادي من القرآن الكريم بوصفه مصدرًا تأسيسيًا لبناء الإنسان وصناعة الحضارة. كما تتمثل المشكلة في الحاجة إلى الكشف عن المفهوم القرآني للقيادة، وبيان سمات القائد ومهاراته، والقواعد التربوية والمنهجية التي يعتمدها القرآن الكريم في إعداد القيادات القادرة على مواجهة التحديات المعاصرة وتحقيق الإصلاح والتغيير في المجتمع. ومن هنا يسعى البحث للإجابة عن السؤال الرئيس: ما معالم المنهج القيادي في القرآن الكريم؟ وكيف أسهمت النماذج القرآنية في تأصيل مفهوم القيادة وبناء الشخصية القيادية؟

ثانياً: أسئلة البحث الفرعية:

تشتمل الأسئلة الفرعية على ما يلي:

1. ما مفهوم القيادة في القرآن الكريم، وما الأسس المعرفية والتربوية التي تقوم عليها؟
2. كيف يمكن إبراز النماذج القيادية التي عرضها القرآن الكريم في الأدوار والوظائف؟
3. ما أهم السمات الشخصية والأخلاقية التي ينبغي أن يتحلى بها القائد في المنظور القرآني؟
4. إلى أي مدى يمكن الاستفادة من المهارات القيادية التي أسهم القرآن الكريم في بنائها وتنميتها؟

ثالثاً: أهدافُ البحثِ:

يهدف البحث إلى تحقيق ما يلي:

1. بيان مفهوم القيادة في القرآن الكريم وأسسها المعرفية والتربوية.
2. إبراز النماذج القيادية التي عرضها القرآن الكريم وتحليل أدوارها ووظائفها.
3. الكشف عن أهم السمات الشخصية والأخلاقية التي ينبغي أن يتحلى بها القائد في المنظور القرآني.
4. تأكيد المهارات القيادية التي أسهم القرآن الكريم في بنائها وتنميتها.

رابعاً: أهمية البحث:

تنبع أهمية هذا البحث من أهمية موضوع القيادة في حياة الأمم والمجتمعات، لما لها من أثر مباشر في تحقيق الاستقرار والتنمية والإصلاح الحضاري، كما تبرز أهميته في ربط الدراسات القيادية بالمصدر القرآني، واستجلاء الرؤية الإسلامية الأصيلة في بناء الشخصية القيادية، ويسهم البحث كذلك في تقديم نموذج معرفي وتربوي مستمد من القرآن الكريم للإفادة منه في واقعنا المعاصر؛ في إعداد قيادات تمتلك الكفاءة المهنية والالتزام القيمي والأخلاقي.

خامساً: منهجُ البحثِ:

يعتمد البحث على المنهج الاستقرائي التحليلي؛ وذلك من خلال استقراء الآيات القرآنية المتعلقة بالقيادة ونماذجها المختلفة، ثم تحليل مضامينها لاستخلاص المفاهيم والسمات والمهارات والقواعد المرتبطة ببناء الشخصية القيادية في القرآن الكريم. كما يستفيد البحث من المنهج الموضوعي في جمع الآيات ذات الصلة بالموضوع ودراستها ضمن إطار معرفي متكامل؛ للوصول إلى تصور قرآني شامل حول القيادة وصناعة القائد.

سادِساً: هيكل البحث:

المقدمة: (إشكاليةُ البحثِ، أهْدَافُ البحثِ، أَهَميةُ البحثِ، منهجُ البحث، هيكلة البحث)

أولاً: مفهوم القيادة وأهم نماذجها في القرآنِ الكريمِ.

ثانياً: سمات القائد في القرآن الكريم.

ثالثاً: مهاراتُ القائد في القرآن الكريم.

رابعاً: أهم القواعد المطلوبة في صناعة القائد.

الخاتمة وأهم النتائج والتوصيات:

أولاً: مفهوم القيادة وأهم نماذجها في القرآن الكريم

مع أن القرآن الكريم كتاب هداية في الأساس، إلا أنه احتوى على أسس كثير من العلوم والمعارف وأصول كثير من الفنون والآداب، والقيادة تحتل مكانة مركزية في العلوم الإدارية والسياسية والتربوية بلا شك، ومن يتدبر القرآن الكريم سيجد أن لأصول القيادة حضورا قويا، وسنبدأ في هذا المبحث بالتعرف على مفهوم القيادة من خلال النماذج العملية التي أوردها القرآن في عدد غير قليل من القصص التي جاءت في سياق تهذيب طبائع الإنسان وهدايته إلى الصراط المستقيم في كافة نواحي الحياة (البنا، انعكاس النظام السياسي الإسلامي في ضوء القرآن الكريم، ص85).

1. مفهوم القيادة:

لم يرد مصطلح (القيادة) في أي من آيات القرآن، لكن القرآن أبرز العديد من القيادات وهي تتحرك في الواقع العملي في سياق صناعة الخير أو اجتراح الشر، بجانب ورود بعض المصطلحات ذات الصلة بمصطلح القيادة، وأهمها مصطلحا الإمامة والقدوة. ومنها قوله تعالى: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: 74] ؛ أي قادة فِي الْخَيْر ودعاة وَهُدَاة يؤتم بهم فِي الْخَيْر (السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، 6/ 285)، قال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 124]. فإن الله تعالى جعله إماما للناس يقتدى به في التوحيد، حتى قام بما كلفه الله تعالى به من الأوامر والنواهي (ابن كثير في تفسيره، 1999، 1/ 405). ويشير مصطلح الإمامة إلى وجود جماعة تأتَمّ بقائد يتمتع بسلطة قانونية عليها، سواء أكان من أهل الحق أم من أصحاب الباطل، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ [القصص: 41]. أي وجعلناهم في الدنيا قادة وزعماء في الكفر يقتدي بهم أهلُ الضلال (الصابوني، صفوة التفاسير، 1997، 2/ 399). أما مصطلح القدوة فيمتلئ بدلالات الاهتداء والتأسّي الأخلاقي المرتكز على الإعجاب بصفات القائد الآسرة بعيدا عن سلطة الإيجاب والقَسْر. قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب-21]. وبعد قراءة الباحث لبعض ما كتب من تعريفات للقيادة وبعد تأملاته للقِصص القرآنية التي برزت فيها شخصية القائد، فإنه يذهب إلى تعريف القيادة على أنها: **قدرة شخص أو عدد من الأشخاص على تقديم الحوافز وتوفير الوسائل التي**

تجعل مجموعة من الناس تتبعهم؛ وذلك ضمن مجموعة من القوانين والقواعد أو الأعراف والأخلاق المتفق عليها، بما يدفعهم للسير في اتجاه معين يضمن تحقيق هدف محدد ومتفق عليه بين أفراد الجماعة. وعلى سبيل المثال، فقد كان محمد- صلى الله عليه وسلم- قائدا للجماعة المسلمة في مرحلة الدعوة وصار قائدا للأمة في مرحلة الدولة، حتى صارت تطيعه في المنشط والمكرَه، ضمن مسيرة الجماعة لإقامة الدولة التي ستقيم حقوق الله وقاعدتها الصلاة وتقيم حقوق الناس وقاعدتها الزكاة، بجانب إقامة المعروف وإبطال المنكر وصولاً إلى إيجاد الأمة التي ستصبح خير أمة أخرجت للناس، وفقاً لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: 41].

2. أهم نماذج القيادة في القرآن:

تكشفُ هذه النماذج القرآنية المتنوعة أنَّ القرآنَ الكريمَ لا يقدم القيادة بوصفها منصبًا سياسيًا أو سلطة إدارية فحسب، بل يعرضها باعتبارها وظيفةً حضارية ورسالة أخلاقية تتجلى في ميادين متعددة؛ كالحكم، والعلم، والدعوة، والإصلاح، والاقتصاد، والتربية، وبناء الأمم، كما يظهر من هذا التنوع أن القرآن لا يقتصر على عرض النماذج القيادية الناجحة فحسب، بل يوازن بينها وبين النماذج المنحرفة والطاغية؛ ليُنشئ لدى الإنسان القدرة على التمييز بين أنماط القيادة الراشدة والقيادة الفاسدة، واستخلاص السنن التي تحكم صعود الأمم وسقوطها؛ ومن ثَم فإن القصص القرآني يقدم مدرسة متكاملة في بناء الوعي القيادي، تجمع بين الاقتداء بالنماذج المصلحة، والاعتبار بالنماذج المنحرفة؛ بما يسهم في إعداد قيادات تمتلك البصيرة، وتوازن بين القيم والممارسة، وتُحسن توجيه المجتمع نحو الإصلاح والعمران، فقد احتوى القرآن الكريم على عدد كبير من القصص التي ضمت نماذج متنوعة من القيادات، والتي تتراوح بين:

- قيادات عامة مثل: ذو القرنين، وداوود، وسليمان، وبلقيس ملكة سبأ.
- قيادات علمية مثل: موسى عليه السلام، والعبد الصالح الذي يقال إنه الخضر.
- قيادات دعوية مثل: مؤمن آل فرعون، ومؤمن آل ياسين، وأصحاب الكهف.
- قيادات عسكرية مثل: محمد -صلى الله عليه وسلم-، وداوود، وسليمان، وطالوت عليهم السلام.

- قيادات تغييرية تحررية مثل: موسى، وطالوت، وداوود، وكذلك سائر الأنبياء الذين مارسوا شتى صور الجهاد الناعم من أجل تحرير أقوامهم من عبودية الأهواء والطواغيت.

- قيادات اقتصادية مثل: يوسف، وشعيب عليهما السلام.

- قيادات أخلاقية مثل: لوط، وعيسى، ولقمان عليهم السلام.

وفي الطرف الفاسد كان هناك قيادات موازية سجل القرآن بعض قصصها، داعياً المسلمين للاستفادة السلبية منها من خلال الاعتبار بها، ففي سياق الطغيان أورد القرآن قصص فرعون والنمرود وقوم تُبَّع وقادة عاد وثمود. وأورد قصة قارون كنموذج للطغيان المالي، وقصة السامري كنموذج للقيادة المنحرفة التي تبرز من داخل الصف الإسلامي نتيجة خلل الفكر ومرض القلب.

وفي هذا المقام سنكتفي باستعراضٍ سريع لأربعة من النماذج القيادية التي وردت في القصة القرآنية، وهي:

- النموذج التسلطي (كما تجلى في قصة فرعون)
- النموذج المُتعقِّل (كما تجلى في قصة ملكة سبأ)
- النموذج التحرري الإصلاحي (كما تجلى في قصة موسى عليه السلام)
- النموذج الراشد (كما تجلى في قصة سليمان عليه السلام).

النموذج الأول: النموذج التسلطي:

أورد القرآن الكريم عددًا من النماذج القيادية المنحرفة التي امتلك أصحابها مقومات التأثير والنفوذ والتمكين المادي، بل ربما امتلك بعضهم من الحضور الشخصي وقوة التأثير ما يُعرف في الاصطلاح المعاصر بـ"الكاريزما"، غير أنهم لم يوظفوا تلك القدرات في تحقيق العدل والإصلاح، وإنما سخّروها لخدمة أهوائهم الشخصية، وإشباع نزعات السيطرة والاستعلاء والطغيان وسط أقوامهم، ولم يردعه رادع التقوى، كما قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى * أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴾ [العلق: 6، 7]. وذلك نتيجة انبعاث طبائع التراب وبروز آثار الطين من التكوين الأول للإنسان.

ومن أبرز النماذج التي عرضها القرآن في هذا السياق نموذج فرعون، الذي يمثل صورة متكاملة للقيادة التسلطية؛ فقد جمعَ بين السلطة السياسية، والهيمنة الاجتماعية، والتأثير الجماهيري،

لكنه وظَّف ذلك في تكريس الاستبداد وإخضاع الناس لإرادته ومن خلال تدبر الآيات يمكن استنباط أهم سمات التسلط والطغيان في قيادة على النحو الآتي:

1 – التّألّه الهَرَمي:

لقد بنى فرعونُ هرماً معنوياً للعبودية في قومه على شاكلة الأهرام المادية التي جعلوها قبورا لهم، فقد كان يتألّه على بطانته وفي ذات الوقت يعطيها صلاحيات واسعة على من دونهم، إذ تألهوا عليهم وعاملوهم بصَغار؛ ولذلك فقد حشر الناس ذات يوم بطريقة مهينة كالحيوانات، كما يُشير إلى ذلك مصطلح (فحَشَر) في قوله تعالى: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى﴾ [النازعات: 23]. وناداهم من علياء غروره واستكباره قائلاً: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: 24]. ومصطلح الربوبية يحمل معنى الخَلق والتصرف المطلق (تفسير الفاتحة والبقرة، ابن عثيمين، 1/ 99) ، وكلمة الأعلى جاءت على وزن الأفعَل أي الأشد علواً، وكأنه يقر بوجود آلهة دونه وهو كبيرهم وأعلاهم، قال تعالى: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: 38]. وكأنه يدعو الناس لعدم إشراك أحد معه في الألوهية، معتقدًا أن ذاته الطاغية هي الإله الوحيد للبشر، ويبدو أن ذلك قد حدث بعد أن زادَ نفخُ الجماهير فيه ودفعُ البطانات له نحو مزيد من الطغيان.

2 – عُقدةُ الفوقية:

نتيجة التراتبية الإدارية التي جعلت فرعون يقف على قمة هرم من شعب كبير وأرض واسعة ذات إمكانات ضخمة أهمها نهر النيل، فقد اندفع لاحتقار وامتهان من هم دونه حتى أسفل الهرم، وخاصة بني إسرائيل الذين ذهب إلى قهرهم وقتلهم بصورة منعدمة النظير، قال تعالى: ﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ [الأعراف: 127]. وتتضح عقدة الفوقية بجلاء من قوله: ﴿فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾. فلقد كان فرعون مُصَاباً بعُقدة الفوقية وَفْقَ النظام الهرمي الذي أرساه في مصرَ، حيثُ يقفُ الفرعونُ في القمةِ على جماجم وأكتاف مَن تَحته، وتَحكَّمت هذه العقدة بسلوكاته كلها، وفي سياق علاقته ببني إسرائيل الذين كانوا نازحين في مصر بسبب القَحْط والجَدب في بلادهم، قال تعالى: ﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾

[الأعراف: 127]. ويتضح من النص أن فرعون يُوجِّه قومه لكي ينطلقوا في تعاملهم من ذات المنطق الاستعلائي، ولقد أكد الله هذه العُقدة، فقال تعالى: ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ [يونس: 83]. ونلاحظ استخدام أدوات التوكيد 4 مرات في هذا الجزء من الآية، مما يؤكد على تجذّر عقدة الفوقية وطغيان مشاعر الاستعلاء. وهذه المؤكدات في الآية على النحو الآتي: «إنَّ» الأولى في قوله: ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ﴾: حرف مشبه بالفعل يفيد التوكيد. و«اللام» المزحلقة في قوله: ﴿لَعَالٍ﴾: وهي اللام التي تدخل على خبر «إنّ» للتوكيد. و «إنَّ» الثانية في قوله: ﴿وَإِنَّهُ﴾: حرف مشبه بالفعل يفيد التوكيد. و«اللام» المزحلقة الثانية في قوله: ﴿لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾: للتوكيد، فاستخدام هذه المؤكدات الأربعة في جملتين قصيرتين يعكس شدة وعظم طغيان فرعون وتجذر عقدة الفوقية والاستعلاء لديه، فجاء التوكيد ليطابق حقيقة الحال في استكباره في الأرض.

3 – امتلاك البلاد والعباد:

اعتبر فرعونُ أنَّ امتلاكه للبشر في بلاده وما يملكون من مقدرات، مسألةً مُسلَّمةً لا تقبل الجدال، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَاقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الزخرف: 51]. إذ استخدم هذا الأمر كحُجّة لإقناع قومه ببطلان دعوة موسى، فقد قال في الآية التي تليها وفي ذات الخطاب: ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الزخرف: 52]. ففرعون استخدم "الامتلاك المادي" كبرهان على "الأفضلية الشخصية"، وهذا هو أصل الاستبداد الذي يجعل من السلطان والثروة معياراً للأحقية في القيادة، ويُنكر على الرعية حقوقهم الفطرية، بل ويعتبرون الناس جزءاً من ممتلكاتهم.

4 – التسلُّط على القلوب:

لا يزال القادة من أصحاب النموذج التسلطي يعتلون مدارج الطغيان حتى يصل الأمر بهم إلى ادعاء السيطرة على القلوب، هذا إن لم يجدوا من يتصدى لهم بحنكة وحكمة، ويخبرنا القرآن بأن فرعون بلغ الذُّروة في احتكار الحقيقة فقد قال لقومه كما ذكر الله: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: 59]. وحينما أعلن السحرة إيمانهم بالله قال لهم بقول الله:

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 123] ؟!، وانطلق في هذا السؤال الاستنكاري من أن هؤلاء السحرة جزء من قطيع الشعب الذي يملكه لكونه (ربُّهم الأعلى)، ولا يحق لهم أن يُقدِّموا بين يديه بدون إذنه، ولو تعلّق الأمر بالإيمان الذي هو اعتقاد عقلي وشعور قلبي!

5 – الكذب الصراح:

لا يتورع القادة المتسلطون عن الكذب ولا سيما أنهم يملكون بطانة تزين لهم أهواءهم وتجمل لهم قبائحهم، ومن أمثلة الكذب الذي مارسه فرعون قوله للسحرة بعد أن آمنوا بموسى، قال تعالى: ﴿آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 123]. إنه يكذب على الجماهير رغم يقينه بأن هؤلاء من أخص بطانته ومن أخلص جنوده، وأنهم كانوا قبل قليل يطلبون مرضاته ويتمرغون عند قدميه، وكان قد وعدهم بمزيد من القرب منه وبشيء من المال الذي توحي به كلمة أجر، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ [الشعراء: 41] ؟ ؛ إذ إن الأجر هو الذي يكافئ العمل ولا يزيد عليه، وهو ما طالب به السحرة قبل المباراة مع موسى، مما يوحي بأن فرعون بجانب كل قبائحه كان بخيلاً!

ولهذا حذر النبي- صلى الله عليه وسلم- كعب بن عجرة بقوله أعيذك بالله يا كعب بن عجرة من أمراء يكونون من بعدي، فمن غشي أبوابهم فصدقَّهم في كذبهم، وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه، ولا يرد عليَّ الحوض، ومن غشي أبوابهم أو لم يغش ولم يصدقهم في كذبهم، ولم يعنهم على ظلمهم، فهو مني وأنا منه، وسيرد علي الحوض " (الترمذي، برقم: 614)، فيدلّ الحديث على تحذير شديد من التقرّب إلى الظالمين أو إعانتهم بالكذب، وبيان أن النجاة تكون بالابتعاد عن الظلم والإنكار عليهم.

6 – الاتكاء على القوة:

من المؤكدِ أن قادةَ النموذج التسلطي يتسلحونَ بالقوة ويتوسلون بالعنف، إذْ يرونَ أنهم غير محتاجين للتوسل بالإقناع والتحبيب إلا فيما ندر، وهذا ما كان عليه فرعون؛ فقد وصل به الأمر إلى حد قتل كل وَليد من ذكور بني إسرائيل لأنه رأى في المنام أن فتى منهم سينزع منه ملكه. ولمّا كان فرعون قد اعتمد في طغيانه على القهر والقوة والبطش، نزل به العذاب المستأصل الذي لا يُبقي ولا يذر؛ تحقيقًا لسنة الله في أن الجزاء من جنس العمل، فكان العقاب موافقًا لجسامة الجرم وغاية الفساد، وذلك من تمام حكمة الله وعدله، إذ يضع الأمور في مواضعها ويوقع الجزاء بما يوافق الأفعال وآثارها، قال تعالى: ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة القصص: 40]. فالظلم مرتعه وخيم، وأن الله يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، فعن أبي موسى -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته» (البخاري ، برقم: 4686). وكانت العصا سببًا في هزيمته المعنوية الأولى يوم الزينة، حين ألقى السحرة حبالهم وعصيّهم وهم يهتفون بعزة فرعون أنهم الغالبون، فألقى موسى عصاه مستعينًا بعزة الله، فإذا بها تلقف ما صنعوا في لحظات معدودة، فتبددت هيبة فرعون وسقط سلطان الوهم الذي بناه على السحر والخداع، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ * فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ﴾ [الأعراف: 117 - 119]. فقد جاء بهم الكبر لكنهم انقلبوا صاغرين. والعصا هي التي تسببت بقتلته الثانية وهي القتلة المادية التي انتهت بغرقه في اليَمِّ، وذلك حينما أمر الله موسى بأن يضرب البحر بعصاه فانفلق ودخل موسى ومن معه حتى عبروا إلى الشاطئ الآخر للبحر، وفي تلك الأثناء كان فرعون وجيشه في وسط البحر، فعاد البحر كما كان ليغرق فرعون وجيشه ويصيروا عبرة لمن خلفهم. ولأن الشيء بالشيء يذكر فقد ذُكرت العصا في القرآن اثنتي عشرة مرة، وكلها متصلة ببني إسرائيل الذين يبدو أنهم لا يسيرون في دروب الشرف إلا بالقوة!

7 – ركوب صهوة الغرور:

يزداد تسلط القادة أكثر حينما يَركبون صَهْوة غرورهم، قال تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: 29]. وحينئذٍ فإنهم يسيرون نحو حتفهم، إذ يوهمهم غرورهم بأنهم ذاهبون للقضاء على خصومهم، وفي الطريق إلى حتوفهم يرتكبون جرائم كثيرة، وأبرز مثال على ذلك هو فرعون نفسه، فقد دفعته ثقته بنفسه إلى السير نحو حتفه المعنوي عندما حشد السحرة لإحراق صورة موسى قبل أن يعمد إلى قتله مادياً، إذ طلبوا بكل ثقة من موسى تحديد موعد للمبارزة فحدّد لهم يوم الزينة؛ فكانت فضيحة فرعون الإله الذي عجز سَحَرتُه أمام موسى، ثم كفروا بفرعون عندما آمنوا بموسى على رؤوس الأشهاد، وامتطى صهوة غروره مرة أخرى عندما خرج موسى وقومه من بين أظهر المصريين خفية فرارا من الاستعباد والطغيان، لكن فرعون خرج وراءهم معتقداً أنه سيقضي عليهم قضاءً مُبْرماً بجيشه الضخم، وفي البحر كان هلاكه المادي بعد أن هلكت شخصيته المعنوية يوم الزينة! ، قال تعالى: ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [الذاريات: 40].

8 – التوجُّس من الرعية:

يُعد موسى من رعية فرعون لأنه كانَ مواطنا في دولته، ومثل كل المتسلطين فقد كان فرعون يتوجّس خيفة من موسى، ومن مظاهر هذا التوجس والفكر التآمري افتراؤه على موسى حينما اتهمه بأنه كبير السحرة، وأنه هو من علّمهم السحر وأن انتصار موسى عليهم إنما كان مسرحية دبّروها جميعا ليضحكوا على الناس ويهزوا إيمانهم وثقتهم بفرعون. وقد عبّر القرآن عن هواجس فرعون وبطانته من موسى وقومه في قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ [5، 6]. إذ تشير عبارة ﴿مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ إلى تلك المخاوف التي انطلقت من فرعون إلى بطانته ثم إلى جنده بفضل التعبئة الإعلامية الكثيفة والمضللة.

9 – التوسّل بالسجون وقمع الحريات:

لا يعتمد المتسلِّطون في قيادتهم على الحكمة والإقناع فضلاً عن الترغيب والتحبيب، وإنما يَعمدون إلى القَسْر والإكراه، وتلعب السجون وتقييد الحريات دورا هَامًا في هذا النموذج القيادي، وقد هدد فرعونُ موسى بصريح العبارة بالسجن في قوله: ﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: 29]. وبالمناسبة فقد وردت كلمة السجن ومشتقاتها عشر مرات في القرآن، وجاءت كلها في سياق الحديث عن النموذج التسلطي للفرعون سواء في عصر موسى أو في عصر يوسف قبله!

فالظلمة وأعوانهم يعملون على إيقاع الأذى بالناس وممارسة القهر عليهم بغير حق، من خلال الضرب والتعذيب والتسلط، سواء كان ذلك تنفيذًا لأوامر سلطات جائرة أو بدافع الاستبداد، فعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: «صنفان من أهل النار لم أرهما، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس" (مسلم، برقم: 2128)

10 – تفريق الرعية:

لا تزال هواجس المتسلطين من رعيتهم، ولا سيما المختلفين معهم، تثور دوما في عقولهم وتنبعث من قلوبهم، ولذلك فإنهم من أجل أن يشعروا بالأمان يَعمدون إلى تفريق هؤلاء الرعية إلى شيع وأحزاب وجماعات تتصارع على كل شيء تاركة العز والجاه للمتسلطين، وهذا ما يؤكده لنا نموذج فرعون التسلطي، فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ [القصص: 4]. إذ حرض المصريين على الإسرائيليين، ونلاحظ هنا الربط الواضح بين العلو في الأرض وبين تفريق المواطنين، إذ إن التفرّق ينزع الهيبة ويذهب بالريح لتتكوّم العزة كلها لصالح المتسلطين، بل وتستحيل هذه العزة إلى علو في الأرض وفساد كبير. وهناك سمات أخرى عديدة لهذا النموذج من التسلط القيادي لكن طبيعة البحث لا تسمحُ بالتوسع فيها، ومنها المَن على الرعية باستعبادِها كما فعل فرعون مع موسى حينما قال له: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ [الشعراء: 18]؟. ومنها الإسرافُ في الأحكامِ الجاهزة والاتهامات الكاذبة، والاغترار بالإمكانات، وممارسة الفساد في الأرض، والاستخفاف بالرعية، وتكوين آلة إعلامية ضخمة

لتضليلها وتحريضها ضِدَّ الناصحين، وممارسة الكيدِ الخفي والمكر الخبيث بالمخالفين بل والمختلفين، ونكثِ العهودِ والاتفاقاتِ، ومقارفةِ الفسقِ والإجرام الشامل، وممارسة الإسقاط واتهام الخصوم بكل رذيلة، وأخيرا احتكار الدين والوطن وإظهار الخوف عليهما من الصالحين المصلحين، كما ظهر في قول فرعون لقومه: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [غافر: 26]. فهو خائف على دين مواطنيه من موسى، وقلِق من إمكانية إظهاره للفساد في الأرض، والفعل ﴿يُظهر﴾ يحمل معنى الاتهام بالفساد القائم لموسى، بمعنى أنه فاسد في أصله ولكنه سيقتله حتى لا يُبدّل دين الناس ولا يُظهر في الأرض الفساد!

فالقيادة التسلطية لا تنشأ من مجرد امتلاك السلطة أو أدوات النفوذ، وإنما تتشكل من منظومة نفسية وفكرية منحرفة تقوم على تأليه الذات، وتعظيم الشعور بالفوقيةِ، واحتكار الحقيقة، وامتلاك البلاد والعباد، وتسخير القوة والإعلام والمؤسسات الأمنية لإخضاع الجماهير وتوجيه وعيها، كما يتضح أن هذا النموذج القيادي يعتمدُ عَلَى صناعةِ الخوفِ، وتفكيكِ المجتمع إلى جماعات متنازعة، وقمعِ الحريات، وتزييف الحقائق، واتهام المصلحين؛ بهدف ضمان بقاء السلطة واستمرار الهيمنة، ومن خلال هذا النموذج يقررُ القرآنُ الكريم أن القيادةَ حين تنفصل عن الإيمان والعدل والقيم الأخلاقية تتحول إلى أداة للفساد والاستعباد، وأن الطغيان مهما بلغ من القوة والتمكين، فإنه يحمل في داخله عوامل سقوطه؛ لأن الاستبدادَ القائم على الغرور والبطش لا يملكُ مقوماتِ البقاءِ، وإنما تكونُ نهايتُه الحتمية الهلاكَ والسقوطَ، ليبقى ذلك النموذج عبرة لكل من يتولى قيادة الناس بعيدًا عن منهج الحق والعدل.

النموذج الثاني: النموذج المتعقِّل:

أوردَ القرآن الكريم نموذجًا متميزًا للقيادة المتعقلة، تمثلت في شخصية امرأة قادت قومها بحنكةٍ وبصيرة، وهي ملكة سبأ، وقد أبرز القرآن هذا النموذج القيادي في سياق قصتها مع نبي الله سليمان في سورة النمل، حَيثُ تجلَّتْ فيها جملة من السمات القيادية التي تعكس عمق التفكير، ورجاحة العقل، وحسن إدارة المواقف والأزمات، ومن خلالِ تدبر آيات القصة يتبين أنها كانت

تتمتعُ بقدر كبير من الحكمة السياسية والقدرة على الموازنة بين المصالح والمفاسد، إذ لم تتعجل القرار، بل اعتمدت مبدأ الشورى، وتحرت عواقب الأمور قبل الإقدام عليها، مما جعلها نموذجًا قرآنيًا للقيادة الواعية القائمة على التعقل والتدبير الرشيد، وبيانها على النحو الآتي:

1 – احترام الآخر:

فحينما وصلها كتاب سليمان- عليه السلام- يدعوهَا فيه للإسلام، وهي لا تعرفُ من هو بعد قالت لقومها بقول الله تعالى: ﴿قَالَتْ يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ * إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: 29 - 31]. فَقَدْ وصفت الكتاب بأنه كريم ولم تقل فيه شيئاً سيئا، رغم أنه جاء من ملك منافس ويدعوها فيه لترك دينها والدخول في دينه، ويكشفُ هَذَا الوصف عن مستوى رفيع من الاتزان العقلي والنضج القيادي؛ إذ لم تنظر إلى الرسالة من زاوية الصراع السياسي، بل تعاملت معها بروحٍ من الاحترام والتقدير، وهذا يدل على أن من خصائص القيادة المتعقلة القدرة على الإنصاف، واحترام المخالف، وتقييم المواقف بعيدًا عن الانفعالات والمواقف المسبقة، ومن خلالِ هذا الموقف يؤسس القرآن لمبدأ قيادي مهم، وهو أن القائد الناجح لا يبني قراراته على التحيز أو ردود الأفعال السريعة، وإنما على القراءة المتأنية والمعالجة الحكيمة للمعطيات.

2 – استشارة قومها وعدم تفردها بالقرار:

من أبرز السمات القيادية التي تجلت في شخصية بلقيس ميلها إلى الشورى وابتعادها عن الانفراد بصناعة القرار؛ فحينما وصلها كتاب سليمان- عليه السلام- جمعت قومها وأخبرتهم بما حصل، ولم تتعامل معه بمنطق السلطة المطلقة، بل سارعت إلى جمع أهل الرأي والخبرة من قومِها، ثُمَّ خاطبتهم، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ [النمل: 32]. ويكشفُ هذا الخطابُ عن وعي قيادي ناضج؛ إذ يدلُّ ظاهرُ النَّص على أنَّ الشورى لم تكن موقفًا استثنائيًا فرضته الظروف، بل كانَت منهجًا ثابتًا في إدارتها لشؤون الدولة، وهو ما يُفهم من

قولها: ﴿مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا﴾، أي لم يكن من عادتها أن تستبد بالرأي أو تنفرد بالقرار دون مشاركة أهل الخبرة والمشورة.

3 – فقهها العميق بطبائع الملوك:

لقد شاورت بلقيس الملأ وفوّضها أهل الشورى بأن تفعل ما تراه مناسبًا، وهم جاهزون لكل شيء لأنهم أهل قوة وبأس شديد، لكنها أرادت اختبار حقيقة هذا الشخص الذي يدعوها للمجيئ إليه واعتناق الإسلام الذي يدين به، إذ قالت كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل: 34]. وفي الآية ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ تأكيد لما وصفت من حالهم، وتقرير له بأن ذلكَ عادتهم المستمرة، وقيل تصديق لها من الله تعالى (تفسير القاسمي،7/ 491) ، وبعدَ أنْ ساقت تلك القاعدة للملأ من قومها وهي تحاورهم اقترحت أنْ تمتحن صحة نبوة سليمان، من خِلالِ إرسال هدية ثمينة إليه، فإنْ قبلها فهو ملكٌ ينبغي أن يقاتَل، وإن رفضها فهو نبي ينبغي أن يجاب، قال تعالى: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: 35]. ونجح امتحانها الذكي في اكتشاف حقيقة سليمان الربانية حينما رفض قبول الهدية.

4- امتلاكها لشخصية مؤثرة في الجماهير:

يبدو أن بلقيسَ كانت ذاتَ شخصية (كاريزمية) آسرة، فقد كانت ملكة ذات مَلَكات ومواهب كثيرة، ولقد وردَ على لسان الهدهد الذي ثبتت دقته في النقل والتوصيف، قال تعالى: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النمل: 23]. وكلمة ﴿تَمْلِكُهُمْ﴾ تحتملُ أحد معنيين: معنى التملك الذي يقوم به عتاة الملوك أيْ القهر والاستبداد، أو أنها تملّكت قلوبهم، وهذا ما نرجحه وَفق تدبر النصوص القرآنية، فقدْ أثبت القرآنُ لها عقلا وحكمة وأخلاقاً حسنة، وهذه تنفي أن تكون مستبدة، بجانب قولها: ﴿مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ [النمل: 32]. مما يؤكدُ أنها كانت ملكة شورية، وأن العبارة تنصرف إلى جاذبيتها الشخصية وصفاتها الحسنة التي جعلتها تملأ قلوب رعاياها بالمحبة.

5 – ذكاؤها المُتّقد:

بعد أن رفض سليمان الهدية ظهر لها أنه نبي فسارعت إلى الاستجابة له والسفر إليه على أجنحة الشوق، وحينما وصلت إليه كان عرشها قد جاء به الذي عنده علم من الكتاب، لكن سليمان أراد اختبار ذكائها ومدى قابليتها للاهتداء، فطلب منهم أن يُجروا بعض التعديل الخفيف والخَفيّ عليه: ﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل: 41]. ولأنها كانت من الذكاء بمكان فقد أدركت الشبه الكبير جدا مع وجود فارق بسيط، وعبّرت عن ذلك حينما سُئلت: ﴿أَهَكَذَا عَرْشُكِ﴾ [النمل: 42] ؟ ؛ بقولها: ﴿كَأَنَّهُ هُوَ﴾ [النمل: 42].

6 – حكمتها البالغة:

وتتضح حكمتها في أثناء القصة كلها، إذ لم تتسرع ولم تذهب نحو التصادم رغم أنها كانت من القوة بمكان، بجانب امتلاكها لمحبة وتأييد قومها وفي المقدمة منهم البطانة الحكيمة والجيش القوي، وتوّجت ذلك بالسفر من اليمن إلى بلاد الشام واعتناق الإسلام: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: 44]. وهل يمكن لملكة ذات عرش عظيم وأوتيت من كل شيء أن تتهم نفسها بالظلم وتبادر إلى ترك دينها واتباع عقيدة الإسلام، إلا إن كانت في قمة العقل وفي منتهى الحكمة؟

7 – تقديرها لقومها:

يتضح من أثناء قصة بلقيس مدى تقديرها لقومها، وهذا هو منطق القائد المتعقل، فهو يعرف أنه واحد من قومه وليس متميزا عنهم بشيء، فقد جمعتهم باحترام وشاورتهم بصدق، ووضعت بين أيديهم المعلومات كاملة حتى يتخذوا القرار الصحيح، ونادتهم في كل مرة بنداء: ﴿يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ﴾ [النمل: 29، 32، 38] ، بحرف النداء للبعيد بما يدلل على احترامها البالغ لهم ولم تُضفهم إليها كما يفعل أصحاب النموذج التسلطي، ثم إنها لم تستخدم تفويضهم لها بطريقة سيئة بل اختارت لهم ما يجنبهم الحرب والدمار، ووضعت بين أيديهم تعليلها لما اختارته لهم حتى يكونوا على بينة من أمرهم، وقد فعلت ذلك من دون أن تَمنّ عليهم بأي شكل أو تُظهر أي قدر من

الاستعلاء عليهم. فالقرآن الكريم يبين نموذجًا متقدمًا للقيادة ؛ يقوم على التوازن بين العقل والعاطفة، وبين قوة القرار وحكمة المشاورة وفق الخصائص القيادية المتكاملة؛ كاحترام الآخر، واعتماد الشورى منهجًا في إدارة الأزمات، والقدرة على قراءة الواقع السياسي واستشراف مآلات القرارات، إلى جانب الذكاء في اختبار المعطيات، والحكمة في تجنب الصدام غير الضروري، والحرص على مصالح الرعية وتقدير مكانتهم، كما يكشف هذا النموذج أن القيادة الناجحة لا تُقاسُ فقط بما تمتلكه من قوة أو سلطان، وإنما بما تتمتع به من وعي، ونضج، ومرونة، وقدرة على مراجعة المواقف والرجوع إلى الحق متى ظهر، ومن ثم فإن العقل والحكمة من أهم مقومات القيادة الراشدة، وأن القائد الذي يجمع بين البصيرة وحسن التدبير يكون أقدر على صناعة الاستقرار وتحقيق التحول الإيجابي في مجتمعه.

النموذج الثالث: النموذج التغييري الإصلاحي:

مثل نبي الله موسى- عليه السلام- أحد أبرز النماذج القيادية التغييرية والإصلاحية التي بينها القرآن الكريم، بل يُعد من أكثر الشخصيات القرآنية حضورًا وتفصيلًا في السرد القرآني؛ إذ تكررت قصته في عدد كبير من السور، بما يعكسُ عمقَ التجربة القيادية التي مر بها وتنوع المواقف التي واجهها، إذ جمعت بين بُعدين متكاملين: البعد العقدي والتربوي المتمثل في ترسيخ التوحيد وتصحيح الانحرافات العقدية والسلوكية في بني إسرائيل، والبعد التحريري والإصلاحي المتمثل في مواجهة الطغيان الفرعوني، والعمل على تحرير قومه من الاستعباد السياسي والاجتماعي والنفسي الذي فرضه عليهم فرعون ونظامه، وقد تجلت في قيادته عشرات السمات الإصلاحية والتغييرية التي أسهمت في صناعة التحول داخل المجتمع، ويمكن الوقوف على أبرزها من خلال التدبر في الآيات القرآنية المتعلقة بسيرته المباركة، وأهمها:

1 – الفاعلية الإيجابية:

كان موسى عليه السلام صاحب شخصية فاعلة تتسم بقدر كبير من الشجاعة والإقدام، وتمتلئ بطاقة إيجابية هائلة ظهرت في مواضع كثيرة من حياته، ومنها حينما رأى قبطيا يتجبر على أحد

الإسرائيليين فانحاز على الفور إلى المظلوم ورمى بقوته بجانبه من دون تردد، ولأنهُ كانَ من القوة بمكان فقد وكز ذلك القبطي فقتله من غير قصد، وحينما فرَّ إلى مدين وجد أناسا يسقون من بئر بينما كانت فتاتان تنتظران بتعب أن يفرغ الجميع، فلم تسمح له إيجابيته التي تَربَّى عليها بأن يصمت، فقال لهما: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [القصص: 23].

2 - الغضب من انحر افات قومه:

لشدة استقامة موسى على أمر الله ولنهوضه بالدعوة إليه فقد كان كامل الانبتات عن كل ما يضاد هذه الدعوة وشديد الغضب على من ينحرف عنها. وقد ظهر غضب موسى عليه السلام في مواضع عدة نتيجة كثرة الانحرافات عند قومه، وأخطرها هو ما حدث من السامري حينما استغل غياب موسى وصنع لبني إسرائيل عجلاً من الحُليّ ودعاهم لعبادته، فحينما أوحى الله إلى موسى بما حدث عاد وهو غضبان، كما قال تعالى: ﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾ [طه: 86]. وكان من آثار هذا الغضب أنه- عليه السلام- ألقى الألواح من يديه وأمسك بأخيه هارون يجره بلحيته ورأسه وهو يعاتبه عتابا مُرًا، ومما قاله الله في هذا الشأن: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ﴾ [الأعراف: 154]. فقد كانَ غضب موسى شديدا وكأنه هو من يتكلم بنفسه. والحقيقةُ أن غضب موسى هو من الغضب المحمود الذي تقتضيه طبيعة القيادة في بعض الظروف، وذلك حينما تُنتهك محارم الله، فقد كان من غضب الله الذي قرّره الله بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [الأعراف: 152]. وظل هذا الغضب لعنة تطارد بني إسرائيل حتى أن الله سماهم بـ ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: 7]. كما في سورة الفاتحة، إذ إنهم عرفوا طريق الحق وسلكوا طريق الباطل!

3 – الاعتراف بالمواهب والبحث عن شركاء الإصلاح والتغيير:

كم يحب المتسلطون أن ينفردوا بالقيادة لأنها في نظرهم تشريفٌ محضٌ وغُنم خالصٌ، أما موسى ومن على شاكلته من القيادات الربانية، فإنهم يعرفون أن هذا الأمر غُرم كبير ومسؤولية خطيرة

ينبغي القيام بها على أكمل وجه، ولذلك فقد انتبه موسى إلى تفوق أخيه هارون عليه في البيان وفصاحة اللسان، فقدّمه إلى الله كي يكون شريكه في مهمته، إذ قال في جملة دعائه، قال تعالى: ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا﴾ [طه: 29 - 34]. وذكر في آية أخرى سبب هذا الترشيح فقال: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ [القصص: 34]. وهذا على عكس ما يحدث في النموذج التسلطي إذ أن القائد يحمل مشاعر الغيرة من أصحاب المواهب والحسد لأصحاب المدارك المتفوقة عليه، وإن لم يذوبوا في ذاته فإنه يشن عليهم حربا شعواء، إذ يعتقد المتسلّط أنه لا بد له من تقزيم من بجانبه حتى يبدو للناس عملاقا!

4 – امتلاك الحكمة:

لقد كانت رسالة موسى ذات شقين كما أسلفنا، إذ واجَه بحكمة بالغة غوائل الطغيان الفرعوني وعالَج علل التدين اليهودي، ومن ثم فقد كان يعرف متى يُقْدم ومتى يُحجِم، وأين يشتد وأين يلين، وعالج سائر الإشكالات بطرائق تسيل منها الحكمة، كما فعل حينما أطفأ فتنة السامري، فقد أعلن غضبه من قومه وخوّفهم من عذاب الله وذكّرهم بمنن الله عليهم، وعاتب أخاه هارون بمرارة وباشر بمعاقبته أمامهم ثم صفح عنه بعد أن أبدى عذره، وتجلت حكمته أكثر في هذه الفتنة عندما حطّم العجل المعبود وحرّقه حتى صار بقايا رماد، قال تعالى: ﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ [طه: 97]. فحلت العقوبة بالسامري؛ بحكم أنه قائد الفتنة وصاحب الفكرة من أولها.

5 – الوعي بالفرق بين الثوابت والمتغيرات:

لقد كان موسى وأخوه هارون على وعي تام بالفرق بين الثوابت والمتغيرات، إذ اتحدا على الثوابت المعلومة من الدين بالضرورة، حتى بديا فيها كأنهما شيء واحد، كما يشيرُ قولُهما وهما يخاطبان فرعون بأمر من الله: ﴿فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: 16]. إذ واحدية الهدف: ﴿أَنْ

﴿أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء: 17]. وتعددت رُؤاهما فيما عدا ذلك من المتغيرات، ولذلك ورد في نفس السياق قوله تعالى: ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ [طه: 47]. فَقَدْ بدَت اختلافات بينهما في النظر إلى بَعضِ القضايا أو معالجة عددٍ من المشاكل، مثل مشكلة السامري وعجله التي اختلفا في طريقة معالجتها. وَكَانَ موسى قد رَاعَى هذا الأمر في تعامله مع قومه، ففي مسألة شق البحر ضربه بعصاه فانفلق وسار الجميع في طريق واحدة، كما قال تعالى: ﴿أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا﴾ [طه: 77]. لكنه في مسألة استخراج الماء ضربَ بذات العَصَا الحَجَرَ: ﴿فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ﴾ [القرة: 60]. كأنَّ الله يَقولُ لهم بأن طريق النجاة ينبغي أن تكون واحدة كما في شق البحر، بينما يجوز أن تتعدد المشارب والمناهل وتتنوع التخصصات والأعمال في الحياة، بشرطِ أن يظل هذا التعدد في دائرةِ التكامل لا التآكل وأن يكون سبيلاً للتضافر لا للتنافر، وأن يبقى الخلافُ محصورا في العقول ولا يتسلل إلى القلوب.

6 – التخلق بأخلاق طلاب العلم:

وردت قصة موسى في رحلته لطلب العلم في سورة الكهف، إذ ذهب للتعلم عند العبد الصالح الذي آتاه الله من لدنه علما، ويقال إنه الخضر، وقدْ تَحَلَّى بكافةِ آداب طلاب العلم، وعلى رأسها استئذانه بالتعلم لديه والتتلمذ على يديه بكل أَدَبٍ، قال تعالى: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: 66]. وكانَ حاضرَ الْعَقْلِ وكامل الوعي، فقدِ استخدمَ مصطلح الاتباع لا التقليد، والاتباع لا يكونُ إلا علَى بصيرة بينما يَكونُ التقليدُ أعمى، وأكد على ذلك بقوله: ﴿عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾، إذ اشترط أن يكونَ التعليم ضمن دائرة الرشد، ولذلك لم يغب وعيُه رغم أن الوحي هو من أخبره بأن الخضر أعلم أهل الأرض، ورغم أن الخضر قد أخبره بأنه لن يستطيع أن يصبر على ما يرى، فقد استنكر ما بدا له -وفق الشريعة الظاهرة- مما فعل العبد الصالح، حتى أنه في مسألة قتل الفتى قال له: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ [الكهف: 74]. ونلاحظ حسن ظن موسى بالغلام إذ افترض الأصل في هذا الغلام عندما وصف النفس المقتولة بوصف ﴿زَكِيَّةً﴾.

7 – صرامة الرقابة على النفس:

كان موسى قويَّ الشخصية، شجاعًا، عالي الفاعلية، وهي صفات قد تدفع صاحبها إلى التسرع أو تجاوز الحد إذا لم يضبطها برقابةٍ ذاتية صارمة وانضباطٍ أخلاقي رفيع؛ غير أن نبي الله موسى- عليه السلام- كانَ مثالًا في التحكم بالنفس والالتزام بمقتضيات الشرع، فكلما شعر أنه تجاوز في أمرٍ ما، بادر إلى مراجعة نفسه، ولجأ إلى التوبة والإنابة والاستغفار، متجردًا من دوافع الكبر أو المكابرة، كما فعل حينما قتل بالخطأ ذلك القبطي الذي اعتدى على اليهودي، قال تعالى: ﴿هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾ [القصص: 15]. فلم يُلقِ بالمسؤولية على غيره، ولم يبرّر فعله، بل أدرك خطورة ما وقع، ونسب باعث العدوان إلى الشيطان، ثم بادر إلى تحمّل المسؤولية الأخلاقية كاملة، معترفًا بتقصيره، متوجهًا إلى ربه بالتوبة والاستغفار، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [القصص: 16]. وانطلق من هذه الرقابة الصارمة إلى العزم على تصحيح المسار، بقوله: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصص: 17]. وبجانب ما ذكرنا من سمات هناك كثير من السمات القيادية في قصة موسى والتي ستتضح في أثناء هذا البحث إن شاء الله تعالى.

النموذج الرابع: النموذج الراشد:

يبرز في القرآن الكريم عدد من النماذج القيادية التي جسدت معاني الرشد في الحكم والإدارة، ومن أبرزها نماذج داوود وسليمان ويوسف عليهم السلام، إذ مارسُوا صُورًا متعددةً من القيادة القائمة على العدل، والحكمة، وحسن التدبير، وتحقيق مصالح الناس في ضوء الهداية الإلهية، وتمثل هذه الشخصيات نماذج متقدمة للقيادة الراشدة التي تجمع بين القوة والأمانة، وبين التمكين السياسي والالتزام القيمي، بما يجعلُها نماذجَ قرآنية صالحة للاقتداءِ في بناءِ المجتمعات وإدارة شؤونها، وسنكتفيْ في هذا المقامِ بالوقوفِ عندَ شخصية نبي الله سليمان- عليه السلام- لما تميزت به تجربته القيادية من شمول في مجالات الحكم والإدارة، واتساع في دائرة التأثير، وتنوع في أدوات القيادة، الأمر الذي يجعل قصته من أغنى النماذج القرآنية في إبراز معالم القيادة الراشدة، وذلك على النحو الآتي:

1 - جدارة العلم والمواهب:

كان داوود عليه السلام نبياً وملكاً، وجاء ابنه سليمان مثله في الجمع بين المُلك والنبوة، لكنه فاق والده في الأمرين ذلك أنه كان أكثر علما من أبيه، كما توحي الآيات، فقد فهّمه الله ما لم يُفهّم داوود وفق الجهد المبذول من كل منهما. وقد يعتقدُ البعض بأن سليمان ورث عن أبيه النبوة والملك لكونه ابنه، بمعنى أنها وراثة بيولوجية بحتة، لكن ذلك غير صحيح، وإنما بسبب العلم والمواهب التي تميّز بها، قال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَاأَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ [النمل: 16]. وكأن سليمان في هذا المقام ينفي الوراثة البيولوجية للمُلك عن أبيه ويُثبت وراثة الصفات التي تنتصب كمؤهلات للملك، ومنها فهم منطق الطير، بجانب ما يحتاجه المُلك من مواهب ومهارات في إدارة الشؤون المدنية والعسكرية وتصنيع الأسلحة وتوفير حاجيات المواطنين وإدارة اختلافاتهم، لكنه اكتفى بذكر ما تعلّمه من أبيه مما هو غريب عليهم تماماً وهو تعلّم منطق الطير. ولا شك بأن للأب فضلا في تعليم الابن، فتعلُّم منطق الطير كان أمرا خارقاً ولا بد أنه كان قد تعلّمه من أبيه داوود؛ لأنها كانت تُسبّح معه وكان يفهم لغتها، كما قال تعالى عنه -أي داوود-: ﴿يَاجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾

[سبأ: 10]. أي وسبِّحي معه أيتها الطير كما الجبال تسبح، فأمر الله الجبال والطير أن تسبح مع داود إذا سبح، وعلمه صنعة الحديد وأنزل عليه الزبور، وكان إذا قرأ الزبور دنت له الوحوش حتى تؤخذ بأعناقها (العظمة، الشيخ للأصبهاني 5/ 1703).

2 – التّعبُّد لله في محراب الحياة:

يُعدّ سليمان أكثر الأنبياء امتلاكاً لزهرة الحياة الدنيا، فقد دعا الله أن يعطيه مُلكا لا ينبغي لأحد من بعده، ولقد أجابَ الله دعاءه فسخّر له الريح، وأسال له عين القطر، وسخّر له الجن يعملون بين يديه ما يشاء من محاريب وتماثيل وأدوات طباخة وأكل، ومنحه سلطة هائلة على الجن حتى أنه مات وهم ما زالوا يعملون بين يديه من شدة هيبته، هذا بجانب معرفته بكثير من الصنائع التي تعلمها من والده بلا شك، ومعرفته بمنطق الطير بل ولغة الحشرات، فقد أثبت القرآن أنه تكلم مع الهدهد، قال تعالى: ﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ [النمل: 27، 28]. وفهم لغة النمل وتبسّم من قولها، قال تعالى: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا﴾ [النمل: 19]. كما جاء في سورة النمل [الآيات: 17 - 19] وفي سورة سبأ [الآيتان: 12، 13]. كل تلك الآلاء دفعت بسليمان لولوج أبواب من العبادة، فقد كانت عباداته الأساسية منبثة في محراب صناعة الحياة من خلال إقامة مداميك ذلك المُلك العظيم، والذي أشاع الهداية في الأرجاء، وأقام نظامًا عادلاً ينال فيه كل من يستحق ما يستحق، ليس على مستوى البشر فقط ولكن على مستوى عالم الجن وعالم الطيور والحشرات، إذ حدث انسجام تام بين كافة الكائنات في الطبيعة، وفي الحديث عن المقدام- رضي الله عنه- عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- قال: «ما أكل أحد طعاما قط، خيرا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام، كان يأكل من عمل يده» (البخاري ، 2072)

3 – امتطاءُ صهوة الشكر:

لقد تفوق سليمان على والده في العلم والأخذ بالأسباب فمنحه الله عباداتٍ مميزةً في محراب الحياة، إذ أقام ميزان العدل بين الكائنات، واستفاد من قدرات الجن في تقديم الكثير من

الخدمات للبشر، واستفاد من الطير في معرفة بعض الأمور البعيدة وفي تبليغ الدعوة إلى الله كملك وليس كنبي لأنه نبي لبني إسرائيل فقط، كما فعلَ مع أهل سبأ وملكتهم بلقيس بعد أن علم بمملكتهم العظيمة وعبادتهم للشمس عن طريق الهدهد، وتوفرت له زينة الحياة الدنيا واستمتع بحياته في حدود المشروع دون أن يغيب عن باله أن هذا كله ابتلاء من الله الذي يبتلي عباده بالرخاء كما يبتليهم بالشدة، فحينما رأى ما سخر الله له من مخلوقات وما وضع بين يديه من طاقات، وعندما رأى عرش بلقيس قد جاء به الذي عنده علم من الكتاب قبل أن يرتد إليه طرفه، قال بلسان العارف: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النمل: 40]. ولقد نجحَ في هذا الامتحانِ الصعب، بعكس قارون الذي كان من بني إسرائيل أيضا، لكن الغنى أطغاه وجعله يتكبر على الناسِ ويمنع عنهم رفده مدعيا أنه إنما أوتي ذلكَ المالَ على علمٍ عنده أي بشطارته ودأبه وعبقريته!. فعن جابر بن عبد الله- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: «من أعطي عطاء فقدر أن يجزي به فليجز به، ومن لم يقدر فليحسن الثناء فإن لم يفعل فقد كفر النعمة، ومن تحلى بما لم يعط فهو كلابس ثوبي زور» (مسند الحارث، 2/ 858).

4 – الكياسة والدهاء:

لا شك بأن سليمان إنما وصل إلى ما وصل إليه بسبب امتلاكه لكثير من المواهب والمؤهلات، ومن ذلك أنه اتسم بقدر كبير من الكياسة والدهاء، اتضح ذلك في كثير من ممارساته، ومنها: إرساله ذلك الخطاب المؤثر إلى الملكة بلقيس والذي حقق الهدف المنوط منه، وجعل الملكة تُعجب به إلى حد أنها وصفت الخطاب بأنه كريم، قال تعالى: ﴿قَالَتْ يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ [النمل: 29]. ومنها أيضا رفض هدية بلقيس والتي لو قبلها لكانت أعلنت الحرب عليه باعتباره ملكا يريد توسيع ملكه على حسابها لا نبيا يحمل على عاتقه هم هداية الناس، كما جاء في سورة النمل [الآيتان: 36، 37]. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ * ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [النمل: 36، 37].

ومن علامات دهاء سليمان- عليه السلام- امتحان ذكاء بلقيس ومعرفة استعدادها للهداية، من خلال سؤالها عن عرشها الذي جيء به على وجه السرعة قبل أن تصل فلسطين، وعُرض عليها بعد أن تم إجراء تعديلات دقيقة عليه، كما جاء في سورة النمل [الآيات: 41 - 42]. قال تعالى: ﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ * فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: 41، 42]. واستطاع أن يكسب ملكة سبأ إلى صف الإسلام بعد قيامه بعرض جزء من قوة دولته ومواطنيه الذين عندهم شيء من العلم، من خلال ذلك الصرح الممرد الذي تم صنعه من الزجاج، ومن شدة إتقان الصنعة حسبته ماءً فكشفتْ عن ساقيها حتى لا تتبلل ثيابها، وبعد ذلك أعلنت عن ظلمها لنفسها واعتناقها للإسلامِ مع سليمان، كما ورد في الآية 44 من سورة النمل.

5 – الشعور بالمسؤولية:

بسببِ الامتلاء بمشاعر المسؤولية استطاعَ سليمان- عليه السلام- أن يؤلِّف في منظومة مُلكه بين كل تلك الكائنات، بما فيها بعض الكائنات في عالم الغيب كالجن، وبعض المخلوقات في عالم الطبيعة كالريح. ومن أغرب المواقف في هذا السياق تفقد سليمان للطيور وافتقاده للطير، قال تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ [النمل: 20]. فموقف سليمان- عليه السّلام- مع الطير وهو موقف تعليمي في العلاقة بين القائد وجنده، وكيف يكون القائد عارفا بأحوال جنده، وكيف يعرف الجند النظام والطاعة، فسليمان- عليه السّلام- يتفقد الطير فلم يجد الهدهد، ومعنى ذلك أنه غابَ بغير إذن وتكون العقوبة على قدر ما فعل (تاريخ نزول القرآن، ص 358). وبالطبعِ لا مسؤوليةَ من دون تفعيل مبدأ الثواب والعقاب بالتساوي بين جميعِ الرعيةِ، ولما كان الهدهدُ أحد تلك الرعية فقد قال سليمان عنه: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ [النمل: 21]. وقد جاءه بسلطان مملكة سبأ وملكتها الحكيمة فنجا من العذاب وصار ذا مكانة مميزة لدى سليمان. ولا ثواب أو عقاب قبل التبيُّن والتأكد، وهذا ما فعله سليمان حينما نقل له الهدهد خبر مملكة سبأ، فقد قال له: ﴿سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ

كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [النمل: 27]. ومن أجل ذلك أرسل معه بالرسالة التي تلقتها الملكة ووصفتها بالكتاب الكريم.

6 – تفعيل قدرات رعيته والاستفادة منها:

رغم أن سليمان كان أعظم ملوك الأرض إلا أنه استفاد من قدرات ومواهب وخبرات رعيته التي كان النظام السائد يقوم على تنميتها واستثمارها، بما فيها ذلك الطائر الصغير الذي افتخر أمامه قائلاً: ﴿فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ [النمل: 22]. وحينما جاءته رسالة ملكة بلقيس جمع ملأه من الجن والإنس وطلب منهم أن يأتوا له بعرشها قبل أن تأتيه وحاشيتها مسلمين، وكان أن استعان بالذي عنده علم من الكتاب والذي استثمر المعطيات العلمية، التي يبدو أنها كانت متطورة في زمانهم، في المجيئ بعرش بلقيس قبل أن يرتد إلى سليمان طرفُه. وبجانب ذلك فقد استفاد من قدرات الجن في بناء بعض المباني وصناعة كثير من الأدوات التي لا تكتمل الحياة الرغيدة إلا بها. وبالطبع فإن ما ذكرناه هنا هو ما أورده القرآن الذي يكتفي بذكر ما يحقق العبرة ولا يعمد إلى الاستقصاء والتفصيل، ومن المؤكد أنه استفاد من خبرات الأمم التي سبقته والتي عاصرته في كل ما يجلب نفعاً لمواطنيه وفي كل ما يدرأ مضرة عنهم، فهذا من سمات الحكم الراشد في كل زمان ومكان، وهذا ما برز في حُكم الخلفاء الراشدين الأربعة، فقد اقتبسوا الكثير من الأمور النافعة عند الأمم المعاصرة لهم ولا سيما الفرس والرومان، مثل نظام الدواوين والعُملة والختم.

ثانياً: سماتُ القائد في القرآن الكريم:

من يتأمل آيات القرآن الكريم يستطيع بشيء من التدبر أن يستنبط الكثير من السمات التي حضرت في شخصيات القيادات الراشدة، والتي لا بد منها من أجل قيام القائد بحقوق من يقودهم على النحو الأمثل، ويمكن اختصار أهم هذه السمات على النحو الآتي:

1. الإحاطة بفقهي الواجب والو اقع:

نقصد بالفقه إدراك الأمور الدقيقة وعدم الاكتفاء بإدراك الأمور الكلية، والواجب هو كل ما له علاقة بنصوص الوحي، أما الواقع فهو المجال الدنيوي الذي يتحرك في إطاره القائد وكل ما له صلة بالمجموعة التي يقودها، ولا بد للقائد من الجمع بين الواجب والواقع حتى يكون تنزيله للأحكام على الواقع أداة فعالة للترقي بالمَقودين نحو الأفضل، ولجلْب المنافع لهم ودرء المضار عنهم. فعن عائشة- رضي الله عنها- قالت: سألت النبي- صلى الله عليه وسلم- عن الجدر أمن البيت هو؟ قال: «نعم» قلت: فما لهم لم يدخلوه في البيت؟ قال: «إن قومك قصرت بهم النفقة» قلت: فما شأن بابه مرتفعا؟ قال: «فعل ذلك قومك، ليدخلوا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا، ولولا أن قومك حديث عهدهم بالجاهلية، فأخاف أن تنكر قلوبهم، أن أدخل الجدر في البيت، وأن ألصق بابه بالأرض» (البخاري، برقم: 1584)، فالأنبياء كانوا قادة لأقوامهم من الظلمات إلى النور ومن التعاسة إلى السعادة، ومُزكّين لهم من شوائب التراب ونَتَن الطين، فقد ارتقوا مدارج العلم وامتلكوا نواصي الفقه مع وجود فروق نسبية بينهم، وكانوا على معرفة دقيقة بواقعهم، بما يوجد فيه من أناس ذوي طبائع متعددة ومستويات عقلية مختلفة، وما توجد فيه من علوم وفنون وآداب، وما تضم مجتمعاته من عوائد وتقاليد وأعراف، وما يجمع تكويناته من مصالح مشتركة وشبكات علاقات اجتماعية. وقد بدأت قصة العلم حينما علّم الله آدم الأسماء كلها ورفعه بسبب ذلك على سائر المخلوقات، وأسجَدَ له الملائكة رغم أنهم مجبولون على الطاعة المحضة بحيث لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يُؤمرون، وبعد أن ابتلى الله الآدميين بخلافته وكلّفهم بعمارة الأرض، تعبّد الناس بطلب العلم الذي يساعدهم على القيام بهذه الغاية، ولذلك كانت أول آية نزلت على النبي- صلى الله عليه وسلم- وأول أمر على الإطلاق هو قوله تعالى: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ [العلق: 1]. وقد حدث هذا قبل أن يتحدث القرآن عن الإيمان وأركانه والدعوة

لعبادة الله، ذلك أن القراءة هي سبيل العلم، والعلم هو الطريق المحقق لذلك كله، قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد: 19]. فإن الأمر بـ«فاعلم» كناية عن طلب العلم المقرون بالعمل بما عُلِم، وهو هنا ليس لابتداء تحصيل العلم؛ لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- والمؤمنين قد تحقق لهم العلم بذلك من قبل، والعلم إذا استقر في النفس لا يحتمل النقيض، والمقصود بالأمر هنا هو طلب الثبات والاستمرار على مقتضى العلم، والدوام على العمل به، لا مجرد تحصيله ابتداءً (ابن عاشور، التحرير والتنوير 26/ 105). وما بين تعليم آدم الأسماء كلها والأمر لمحمد بالقراءة التي هي السبيل الأساس للتعلم، ارتاد جميع الأنبياء مجرّات العلوم التي ساعدتهم على تحقيق الغاية من خلقهم ومن إرسالهم إلى الناس، ويزخر القرآن بالكثير من الآيات ذات الصلة بهذا الأمر. ولأهمية ذلك فقد امتَنّ الله على الأنبياء بتعليمهم، كما قال تعالى لعيسى بن مريم- عليه السلام-: ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ [المائدة: 110]. وقوله تعالى لحبيبه محمد- صلى الله عليه وسلم-: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: 113]. فإن العلم هو أجزل النعم وأزكاها، ذلك أن القيام بكل الواجبات والطاعات على الوجه الأمثل منوط به ومبني عليه. وقد عرف الأنبياء قيمة هذه النعمة العظيمة فشكروها حق الشكر، من خلال توظيفها في هداية الناس، ومما ورد في هذا الشأن قوله تعالى على لسان إبراهيم لأبيه: ﴿يَاأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ [مريم: 43]. وحتَّى لا يظن أحد بأن إبراهيم يفتخرُ على أبيه لكونه عالما فقد أظهر عجزه بقوله: ﴿قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾ [مريم: 43] ، فالعلم هو الذي جاء لإبراهيم، رغم أن العلم لا يأتي إلا لمن أخذ بأسبابه أي من ذهب إليه بجده واجتهاده. وقال تعالى على لسان يوسف: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: 101]. ونلاحظ كيف يسير أدب يوسف في ذات الدرب المحفوف بالتواضع، فإنه يقول بأن الله هو من آتاه المُلك وعلّمه من تأويل الأحاديث. وبدوره يواصل سليمان نسبة النعمة إلى المنعم فيقول: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ﴾ [النمل: 16]. وكيف لا يقول ذلك وقد قال الله عنه وعن أبيه: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا﴾ [النمل: 15]؟!

وفي هذا السياق مدح الله يعقوب لأنه تعلَّم ما هيَّأه الله لتعلمه فقال: ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: 68]. وأخبر عن داوود قائلاً: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ﴾ [الأنبياء: 80]. وحينما اختارَ اللهُ طالوتَ قائدا لبني إسرائيل ولم يكن نبيا ولا من أصحاب الوجاهة اعترض بعضهم، فجاء الرد، بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: 247]. والاصطفاء يقوم على أسرار لا يَعلمها إلا الله، بينما تقوم بَسْطة العلم والجسم على أسباب متاحة لجميع الخلق، وقد قدّم الأسرار على الأسباب من باب تقديم الفضل على العدل، ثم قدّم العلم على الجسم لبيان الأهمية البالغة للعلم في تكوين الشخصية القيادية رغم أهمية الجسم في أداء القائد لوظائفه. ويُعلِّمنا القصصَ القرآني أن العلمَ ليس مجرد معلومات تُحفظُ ويتم استدعاؤُها عند الحاجة إليها، وإنما هو أداة لتشذيبِ طبائعِ الإنسان والترقي بغرائزه، ووسيلة لتهذيبِ أخلاقِهِ وتعديل سلوكه بما يتوافق معَ تعاليم الشرعِ الحنيف، ولا يشذُّ عن المقاصد العامة للقرآن الكريم. ومن المواقف التي تُبرز هذا المعنى قوله تعالى على لسان يوسف- عليه السلام-: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف: 33]. فقد اعتبر بأنه سيكون من الجاهلين إن استجاب لدعوات نسوة المدينة باقتراف الفاحشة، وهذه هي نظرة السلف الصالح للعلم، فقد روي عن ابن مسعود- رضي الله عنه-: "ليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم الخشية" (الدارمي، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ص38) ، بل هذا ما يشيرُ إليه القرآن بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: 28]. فالخشيةُ تتضحُ من خلال استقامة السلوك ورقيّ الأخلاق، وينقلنا هذا الأمر إلى الفقرة التالية ضمن هذه السمات.

2. التحلي بالأخلاق الحسنة:

تُعدّ الأخلاق الحسنة ثمرة العلم والإيمان، وهي منظومة من المحاسن والمكارم التي ينبغي أن تظهر بجلاء عند التعامل مع الخَلق، فعن أبي هريرة، أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قال: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق» (البخاري، الأدب المفرد، ص: 104)، وأهمها:

– **الصدق:**

فالصدق معيار لوجود الإيمان من عدمه؛ لأن المؤمن يستحيل أن يكون كذّاباً. ولقد أشار القرآن إلى أن الصدق لُبّ الصفات التي تُسهم في صناعة السُلّم الذي يرفع الإنسان إلى درجة الصِّدِّيقية، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ [مريم: 41]. وقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا * وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: 56، 57]. فالصدقُ من أهم الصفات التي تمنح المؤمن مقامًا رفيعًا عندَ الله وتهبه درجة عالية في الجنة. وقد امتدح الله نبيه إسماعيل، فقال: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ [مريم: 54]. ولقد قدَّم القرآن صدقَ الوعد على الرسالة والنبوة فالصدق من أول منازل الطريق إلى النبوة وأولى ثماره في ذات الوقت.

– **الأمانةُ:**

والأمانة هي قرينة الصدق ولا يمكن أن تنفصمَ إحداهما عن الأخرى، فالصدقُ أمانةٌ في الأقوال، والأمانة صدقٌ في الأفعال، حَيْثُ يعطي الأمين كل من يستحق ما يستحق، بعيدا عن الجحود والغش والخيانة والتطفيف والبَخس، فلقد قال نبي الله شعيب لقومه: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف: 85]. ومن المعلوم أنَّ رسولَ الله محمدٌ -صلى الله عليه وسلم- كان يُلقَّب عند مشركي قريش بـ(الصادقِ الأمين). إذ كانَ مخزن أسرار الناس وخزانة أماناتهم، حتى أنه حينما هَاجَرَ إلى المدينة ترك عليَّ بن أبي طالب لإعادة الودائع لأصحابها من المشركين الذين تآمروا على قتله أو سجنه أو طرده من بلاده!

– **الرحمة:**

وما دمنا قد ختمنا الصفة السابقة بذكر المصطفى محمد -صلى الله عليه وسلم- فإننا نبدأ به هذه الصفة، فقد وصَفَ الله في القرآن مهمته الرسالية كلها بالرحمة، فقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107]. إذ استخدم أسلوب الحصر والقصر من خلال النفي بحرف (ما) والاستثناء بحرف (إلا)، فهو رحمة عامة لسائر عوالم الإنسان والحيوان. وأوضح القرآن أن

رحمته- صلى الله عليه وسلم- إنما هي من تأثير رحمة الله كما ورد في قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [آل عمران: 159]. ومما تنبغي معرفته أن هذه الآية بالاتفاق نزلت في حق الذين انهزموا يوم أحد (العجاب في بيان الأسباب، 2/ 1063)، فَقَدْ أَجْلَسَ النبي- صلى الله عليه وسلم- يوم أحد جيشا من الرماةِ وأمر عليهم عبد الله بن جبير- رضي الله عنه- وقالَ: "لا تبرحوا وإن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا، وإن رأيتموهم ظهروا علينا فلا تعينونا"، فلمَّا لَقِيَ المسلمونَ كفار قريش هزموا.. وقال الرماة: الغنيمة، فقال لهم عبد الله بن جبير: عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- إلينا ألا نبرح فأبوا، فأصيبَ منهم سبعون قتيلا (المرجع السابق، 2/ 767)، من خيرة أصحابه؛ بسبب الخطأ الذي ارتكبه الرُّماةُ حينما تركوا أماكنهم في الجبلِ ونزلوا إلى الوادي لجمع الغنائم. وظل- صلى الله عليه وسلم- يرتقي مَعَارِجَ الرحمة حتى صار رحمة تمشي على قدمين، لدرجة أنه كادَ أن يموت من كثرة التحسر على قومه، قال تعالى: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾ [فاطر: 8]. أي حسرة بعد حسرة. والأنبياء كانوا مثالا في الرحمة بين أقوامهم وكانوا يكرهونَ من أقوامِهم الأفعال لا الأشخاص، ومن أمثلة ذلك موقف لوط الذي واجه أصنافَ الأذى بالرحمة وتسَلَّح أمام صنوف التكذيب بالصبر، قال تعالى: ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَالُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ [الشعراء: 167]. بل إن لُوطًا- عليه السلام- لم يُفقده هذا الانحطاط من قومه وقارَه، ولم يتخلَّ عن رحمته بهم، بل قال لهم كما قال الله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ * رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء: 168]. فقد فرّق بينَ الأشخاص وأفعالهم، فلم يوجِّه كراهيته إلى ذواتهم، وإنما أنكر سلوكهم وأعمالهم المنحرفة؛ مع ما بلغوه من الانحطاطِ الأخلاقي، حَتَّى حَاولوا الاعتداء على ضيوفه وإلحاق الأذى بهم، وظَلَّ مشفقًا عليهم، حريْصًا على هدايتهم، خائفًا من العذاب الذي سيحل بهم بسبب إصرارهم على الباطل. وهذا انعكاس لسمو الأخلاق الدعويةً عند الأنبياء التي تجعل غايتهم الإصلاح، لا الانتقام من المخالفين. وحينمَا وَصَلَ فساد قومه إلى ذروة الانحطاط وحان وقت وعيد الله للتنزّل، أمر الله لوطا بالخروج من قرية سدوم وقال له على ألسنة الملائكة الذين جاءوه: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ﴾ [الحجر: 65] أي امشِ خلف أهلك ومن معك من المؤمنين؛ حتى لا تفقد أحدا منهم ولا يشعرون بالخوف. ونختم بقول الخليل

إبراهيم لأبيه المُوغِل في الكفر كما قال الله تعالى: ﴿يَاأَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ [مريم: 45]. إذ تقطر الرحمة من ثنايا كلماته الحادنة على أبيه، فقد ناداه بتلطف شديد: ﴿يَاأَبَتِ﴾ وأظهرَ خوفَهُ على أبيه من العذاب. ومع أنَّ المقَامَ مقام إنذار وتحذير من عاقبة الشرك والضلال، فإن إبراهيم - عليه السلام- لم يستحضر اسمًا من أسماء الله التي تناسب جانب العقوبة والانتقام، بل اختار اسم ﴿الرَّحْمَنِ﴾، في دلالةٍ بليغة على ما امتلأ به قلبه من رحمة وشفقة على أبيه، ورجائه أن يتعرضَ لنفحاتِ الرحمةِ الإلهية فيرجع إلى الحق. ثم انتقل إلى أسلوب آخر من أساليب التأثير النفسي، فذكَّره بالشيطانِ وعداوته للإنسان، محاولًا استثارة ما فُطر عليه البشر من النفور من عدوهم الأول، ليوقظ في نفسه دواعي المراجعة والتفكر، ويكشف هذا الأسلوب عن حكمة دعوية رفيعة تجمع بين الرحمة في الخطاب، والحجة في البيان، والحرص على هداية المخاطب دون تعنيف أو تجريح.

– الوفاء:

لقد كان جميع الأنبياء أمثلة ونماذج في الوفاء بالعهود والمواثيق، فإنَّ هذا الخلق من أحجار الأساس للإيمان، ولقد افتتحَ اللهُ واحدة من أعظم سور القرآن بقوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: 1]. وهذه السورة هي المائدة، اعتنت بتقرير الالتزامات الشرعية والأخلاقية والتنظيمية، بوصفهِ أساسًا لاستقامة الدين وحفظ النظام العام وتحقيق العدالة بين الناس، وقد حَوَتْ السورة عَدَدًا كبيرا من العلل التي اعترت التدين عندَ أهلِ الكتاب، فجاء في مطلع السورة النداء تأكيدًا لعظمِ الالتزام بالعهودِ والمواثيق في بناء المجتمع المؤمن، واشتملت على معالجة عدد كبير من الانحرافاتِ والعلل التي أصابت التدين عند أهل الكتاب، كالإخلال بالعهود، وتحريف الشرائع، واتباع الأهواء. وقد جَاءَ هذا التوجيه الرباني تأكيدًا لأهمية الالتزام بالحقوق والواجبات في استقامة الحياة الإنسانية. ومن هذا المنطلق، فإن كل قائد لمجموعة أو مؤسسة أو حكومة إنما يتولى مسؤولياته بموجب عقدٍ تنظيمي أو معنوي يربطه بمن يقودهم، ويحدد حقوق الأطراف وواجباتهم بصورة تحقق العدالة والاستقرار. ومن ثَمَّ فإن الوفاء بهذه الالتزامات يعد أسَاسًا لاستقامة العلاقة بين القائد ومرؤوسيه؛ إذ إن حقوق القائد تمثل واجبات

على الرعية، كما أن حُقوقَ المرؤوسين تمثل واجبات على القائد، ولو التزم كل طرف بما عليه لأُعطي كل ذي حق حقه، وسادت الثقة والاستقرار بعيدًا عن الظلم والنزاع، ففي الحديث النبوي عن ابن عمر-رضي الله عنه- عن النبي- صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «ألا كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع، وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته، وهو مسئول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده، وهي مسئولة عنهم، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه، ألا فكلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته» (مسلم، برقم: 1829).

– العفّة والشفافية:

لقد اعتلى جميع الأنبياء ذُرى العفة والشرف وكانوا في منتهى الشفافية مع أقوامهم، فلم يسطوا على مال أحد، أو يعتدوا على عرض مخلوق، أو يسلبوا شيئا من حقوق كائن، بل ولم يخالفوهم فيما دعوهم للالتزام به قيد أنملة، كما قال تعالى على لسان شعيب: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ﴾ [هود: 88]. ورغْمَ اتسام الأنبياء بهذه الصفة بشكل صارم فإن الله من أجل أن يُبيّن لنا خطورة هذه الصفة، قد خاطب أفضل أنبيائه فقال له: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه: 131]. ولخطورة هذا الأمر فإن النهي متوجه إلى العينين اللتين قد ترمقان من بعيد ما يمتلك الآخرون من نعم، فكيف بالجوارح؟ وكيف بالقلب؟!.

ولأن الله قد تولّى تربية الأنبياء بنفسه واصطنعهم على عينه ومنهم الكليم موسى، فقد وجد موسى فَتَاتين في مَدين وتعامل معهما بمنتهى الرِّقّة والرقي، مما انتزع إعجابهما الشديد به ودعا إحداهما لتقول لأبيها بكل وضوح كما قال الله تعالى: ﴿يَاأَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص: 26]. مع العلم أنَّ مُوسَى لم يكن قد اكتسب العصمة الناتجة عن النبوة لأنه لم يكن قد أُرسل آنذاك، وهو عينُ ما حدثَ لمحمد- صلى الله عليه وسلم- في شبابه قبل أن يُبعث، فقد عمل في التجارة لخديجة- رضي الله عنها- وكانت عفَّته البالغة في التعامل معها ومع مالها هي التي دعتها لطلب الاقتران به والزواج منه؛ فلما بلغها عن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- من صدق حديثه، وعظم أمانته، وكرم أخلاقه، بعثت إليه فعرضت عليه أن يخرج في مالٍ لَها إلى الشامِ

تاجرا، وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار ، وعندما حدثها غلمها ميسرة عن مآثر النبي- صلى الله عليه وسلم- رغبت في الزواج منه لأمانته وحسن خلقه، وصدق حديثه (سيرة ابن هشام 1/ 171).

– الهشاشة والبشاشة:

صَحِيْحٌ أن القادةَ على قدر كبير من الجدية والصرامة، لكن ذلك لا يعني الاتسام بالعبوس والظهور بوجه مقطب، فقد كان الأنبياء يهشونَ ويبشونَ في وجوه من يتعاملون معهم، وعلى رأس هؤلاء الحبيب محمد- عليه السلام- الذي جعل تبسم المؤمن العادي في وجه أخيه صدقة، فعن أبي ذر -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: "تبسمك في وجه أخيك لك صدقة، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة، وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة، وبصرك للرجل الرديء البصر لك صدقة، وإماطتك الحجر والشوكة والعظم عن الطريق لك صدقة، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة" (الترمذي ، برقم: 1956) ، فكيف إن كان هذا المؤمن قائدا؟!

ومن المعلوم أن النبي- صلى الله عليه وسلم- قد ارتكب بعض الأخطاء الاجتهادية التي عاتبه القرآن عليها، ولو تأملنا تلك الأخطاء لوجدنا أنها جاءت في سياق رحمته الزائدة بالناس، ومن ذلك أنه وجد ذات يوم آذاناً صاغية من قبل كبراء قريش وعلى رأسهم أبو جهل وعتبة بن ربيعة وأُبَيُّ بن خلف، فأرادَ اقتناصَ هذه الفرصة حرصا على هدايتهم، وفي تلك الأثناء جاءه عبد الله بن أمّ مكتوم طالباً منه أن يُعلِّمه مما علّمه الله، وما زال يكرر طلبه من الرسول وهو منهمك في الحوار مع كبراء قريش حتى عبس في وجهه، ومع أن ابن أمّ مكتوم أعمى فقد نزلت سورة (الترمذي ، برقم: 3331)، فسميت (عبَس) باسمِ فعلِ العبوسِ، قال تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ [عبس: 1، 2]. فعن عبد الله بن الحارث "ما رأيتُ أَحَدًا أكثر تبسمًا من رسول الله- صلى الله عليه وسلم- " (الترمذي، برقم: 3641)، وما زال- صلى الله عليه وسلم- يهش في وجه ذلك الأعمى ويحتفي به قائلاً: "مرحباً بمن عاتبني فيه ربي". وكان- صلى الله عليه وسلم- يهش في وجوه من يلقاهم بمن فيهم المنافقون، وكان يمزح ولا يقول إلا حقا، وكان يحب مداعبة الأطفال والنساء

وله في ذلكَ مواقف مشهودة. وفي ذاتِ السياق أورد القرآن قصة أعظم ملوك الأرض وهو نبي الله سليمان مع النملة حينما سمع تحذيرها لقومها من أن تطأها أقدام جيش سليمان، فقال تعالى عن ردة فعل سليمان: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا﴾ [النمل: 19]. وقد تحلَّى الأنبياء بجميع الأخلاق الحسنة وبلغوا فيها مبلغا عظيما، ومنها: الجود والكرم، الشجاعة والإقدام، الحلم والأناة، التواضع والبساطة، وقد تربَّع خاتم الأنبياء على عرش الأخلاق حتى قال الله تعالى عنه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4]. ولا بد لكل قائد من أخلاق كريمة يتحلى بها، فهي برهان الانتماء إلى فكرة عظيمة وجواز المرور الذي يُمكِّنه من وُلوج القلوب بدون استئذان، وعندها فإن مرؤوسيه سيسارعون إلى تطبيق القوانين والقواعد، وسيتسابقون على تنفيذ توجيهاته وأوامره، وستكون فاعليتهم أكبر وإنتاجيتهم أعلى، وستساعد على استزراع مشاعر المسؤولية في ضمائرهم، وينقلنا هذا إلى السمة الثالثة.

3. التحلي بالإيجابية وامتلاك روح المسؤولية:

اتسمَ جميع الأنبياء بقدر عال جدا من الإيجابية في التعامل مع الآخرين، ولقد كان الشعور بالمسؤولية نحو الناس هو الذي منحهم طاقة الشجاعة والإقدام، ووهبهم منحة الصبر على المكاره وتحمّل المشاق، وجعلهم دائمي المرابطة في ثغور الدعوة والتعليم والمجاهدة، رغم أصناف الأذى التي تعرّضوا لها ممن يدعونهم ويحبون الخير لهم. ويخبرنا القصص القرآني بأن إيجابية-يوسف عليه السلام- وشعوره بالمسؤولية نحو عامة الناس هي التي جعلته يقول لملك مصر، كما قال تعالى: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: 55]. وهي التي جعلت موسى يتدخلُ بجانب الإسرائيلي المظلوم بقوة حتى قتل القبطي بدون قصد، وهي التي دفعته ليسأل الفتاتين في مدين قائلاً كما قال الله تعالى: ﴿وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [القصص:23] ؟، وهي من حثَّت سليمان على تفقد الطير، قال تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ [النمل: 20]. ومن بَابِ أولى تفقد أوضاع البشر، بل هي التي جعلته يدعو أهل سبأ وملكتهم لعبادة الله رغم أنه نبيٌّ لبني إسرائيل فقط، فقد كان كل نبي يُرسل إلى قومه خاصة.

وكانت إيجابية الملك الصالح ذي القرنين هي التي جعلته يسيح في الأرض حتى بلغ مطلع الشمس ومغربها، حَيْثُ أقامَ موازين العدل وقمع عتاة الظلم وقام ببناءِ سَدٍ عظيم لحماية أحد الشعوب الضعيفة من إفساد قوم يأجوج ومأجوج، قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا * قَالُوا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا * قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ [الكهف: 93 - 95]. وهذا يعطينا دَرسًا بالغ الدلالة على أن الاحتماء من الفساد المادي الواضح كالذي كان يصنعه يأجوج ومأجوج يمكن أن يتم عن طريق بناء السدود المادية التي تحمي الضعفاء من إجرام الأقوياء، كالقوانين والتشريعات والقواعد واللوائح، بينما يُمكنُ الاحتماء من الفساد الخفي عن طريق إقامة دولة الله (التقوى) في قلوبِ الناسِ، وبناء سد الصلاح في مجتمعاتهم. ويعطينا القرآن درسا بالغاً من قصة آدم لا يدركُهُ إلا من تدبّر النص القرآني، فقد أشارَ اللهُ إلى أنَّ الرجولةَ مسؤولية وتكليف، من خلالِ قوله تعالى لآدم وحواء: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ [طه: 117]. فقد نَسبَ فعل الخروج من الجنة إلى الاثنين لكنه في فعل الشقاء نَسَبه إلى آدم وحده؛ ذلك أنهما كانا يأكلان من ثمار الجنة من دون نَصب أو تعب ومن غير جهد أو شقاء، فإن أُخرجا منها فإنهما سيحرمان ذلك النعيم وسيخضع تحصيل الرزق للنصب والتعب والشقاء، وهذا ما يفعلُه الرجل وحده أو ما ينبغي أن يفعله دون المرأة في ظل الرؤية الإسلامية، بمعنى أن الشقاء سيَنْصَب على آدم وحده. وننتقل إلى السيرة العطرة لمحمد- عليه السلام- فقد قال له الله في مطلع سورة الأحزاب: ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: 1، 2]. ومع أنه تعالى هنا يخاطبه وحده لكنه في نهاية الآية الثانية، قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾، ولم يَقُلْ (بما تعمل)، ذلكَ أنه مسؤول عمن يقودهم، وقد أودع الله في فطر الناس استعدادًا للسيرِ خلفَ القائد، ومن ثم فإن التزامه يدفعهم للالتزام، وصلاحه يساعدهم على الانسلاك في طريقِ الصلاح، ومن هنا فقد كان - صلى الله عليه وسلم- في رسائله إلى ملوك الدول ومشايخ القبائل يذكر أنهم إن استجابوا سيكون لهم أجر من سار خلفهم، وإن أعرضوا سيكون عليهم وزر من يقودونهم. فقد جاء في رسالته- صلى الله عليه وسلم- لهرقل ملك الروم "

فإني أدعوكَ بدعايةِ الإسلام، أسْلِمْ تسلمْ، وأسْلِمْ يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين" (البخاري، برقم: 4553).

4. إشراك القاعدة في اتخاذ القرار:

تَعُدّ الرؤية القرآنية القائد مسؤولاً عمن يقودهم لا سيدا عليهم، ومن ثم فإنه لا يحق له أن ينفرد في تقرير ما يهم المجموع بل يجب عليه أن يستشير علماءهم فيما يهمهم ويُشرك عقلاءهم في اتخاذ القرار المناسب، وأن يراعي مصالح الجميع عبر الإعلاء من شأنهم واحترام حرياتهم وحماية حقوقهم وبسط التعامل العادل مع جميعهم. ولكي تتحقق المشاركة المنشودة في اتخاذ القرارات، ينبغي مراعاة ما يأتي:

– تفعيل قيمة الشورى:

لقد كان محمد -صلى الله عليه وسلم- أعظم قائد عرفته البشرية، بما اجتمع له من كمالات النبوة وخصال القيادة والحكمة، فَأَسَّسَ نُمُوْذَجًا فريدًا في الحكم والإدارة قائمًا على العدل والشورى وتحقيق مصالح الناس وفق مبدأ الشورى في إدارة شؤون المجتمع، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: " إذا كان أمراؤكم خياركم وأغنياؤكم سمحاءكم وأموركم شورى بينكم فظهر الأرض خير لكم من بطنها" (الترمذي، برقم 2266). وقد نزل المشركون بأحد واستشار النبي- صلى الله عليه وسلم- أصحابَهُ في الخروج إليهم فقال أكثر الأنصار: اقعد يا رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فإن دخلوا علينا قاتلناهم، وإن رجعوا؛ رجعوا خائبين، وقال من كان غاب عن بدر وهو يرغب في الشهادة: اخرج بنا إليهم؛ ثم تراجعوا وسألوه أن يقيم، فقال- صَلَّى اللهُ عليه وسلم-: "لا ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل" وكانوا ألفا، فرجع عبد الله بن أبي بن سلول بثلاثمائة (العجاب في بيان الأسباب، 2/ 744)، وهذا الموقف يجسد حسم القيادة بعد المشاورة، والالتزام بالقرار المتخذ وعدم التردد فيه بعد العزم. قال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: 159]. ويؤكد تَدبّر الآية

وظروف تَنزّلِها مدى أهمية الشورى وخطورة الانحراف عنها، وسنوضح ذلك بشكل موجز من خلال النقاط الآتية:

أ. استخدامُ فعل الأمر الحاسم: ﴿وَشَاوِرْهُمْ﴾ والذي يقتضِي الوجوبَ لعدم وجود صارف يصرفه إلى الندب أو الجواز.

ب. توجُّه الأمر إلى الرسول- صلى الله عليه وسلم- وهو المعصوم في شؤون البلاغ والبيان، والعبقري الكامل في شؤون الفكر والسياسة والإدارة، فكيف بغيره؟!

ت. تَقدُّم التطبيق المحمدي لها في معركة أُحُد كتجسيد لقوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: 38]. التي نزلت في مكة، قبل الأمر بها في المدينة: ﴿وَشَاوِرْهُمْ﴾، فقد نزلت السورة نزلت في حدود سنة ثمان بعد البعثة، ولعل نزولها استمر إلى سنة تسع بعد أن آمن نقباء الأنصار ليلة العقبة، وأريد بها الأنصار قبل هجرة النبيء- صلى الله عليه وسلم- إلى المدينة (ابن عاشور، التحرير والتنوير، 25/ 24)، وفي أُحُد شاور النبي -صلى الله عليه وسلم- أصحابه في أمر الخروج من المدينة أو القتال فيها، ومع أنه كان يرى البقاء في المدينة مع عدد من كبار الصحابة، فقد خرج استجابةً لاختيار الخروج إلى أُحُد والالتزام به؟.

ث. التزامه برأي الخروج إلى أحد رغم مخالفته لقناعته، وانشقاق عبد الله بن أُبيّ بثلث الجيش بحجة أن الرسول- صلى الله عليه وسلم- لم يستجب لرأيه واستمع لرأي الغلمان! . ولأن البعض قد يُحمِّل الشورى مسؤولية الهزيمة، أو يدعو لعدم الالتزام برأي الأكثرية بحُجَّة أنه قد لا يكون صائباً، فقد جاء التأكيد بالأمر الحاسم: ﴿وَشَاوِرْهُمْ﴾، ثم بتأكيد عدم التردد أو التراجع بعد الاستشارة واتضاح رأي الأغلبية، إذ قال في نفس الآية: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾.

ج. مجيئ الأمر بالشورى ضمن عدد من العوامل اللازمة لائتلاف المجتمع، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: 159]. ومن المؤكد أن الأخذ برأي الأكثرية من أهم عوامل وحدة المجتمع وصلابته، ولأن الوحدة فريضة واجبة فإن " ما لم يتم

الواجب إلا به؛ فهو واجب " (السبكي، الأشباه والنظائر، 1/ 120)، كما تقول القاعدة الأصولية.

ح. ورود الشورى في سياقٍ لَفْت الأنظار إلى أسباب الهزيمة وعوامل النصر، ولهذا قَرَّرَت الآية التي بعدها قاعدة: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ [آل عمران: 160]. بما يؤكد ضرورة الشورى لتحقيق النصر.

خ. ورود الأمر بمشاورة الرسول لأصحابه ومنهم من عصَوْه، كالرُّماة الذين غادروا أماكنهم، قال تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾، فكيف بمشاورة من لم يغادروا ثغور الطاعات ولم يَسقُطوا في مَهاوي المعاصي؟!

– إقامة موازين العدل بين المرؤوسين:

لأهمية قيمة العدل في منظومة القيم القرآنية فقد لقّن الله نبيه محمدا- صلى الله عليه وسلم- أن يقول للناس إلى يوم القيامة: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ [الأعراف: 29]. وقال تعالى على لسانه عليه السلام: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ [الشورى: 15]. وقد استخدمَ القرآن لفظ الأمر دون صيغة الأمر التي تُستخدم في سائر الواجبات؛ ليبينَ خطورة هذا الموضوع ومكانته المركزية في منظومة القيم الإسلامية. فقد قال: رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: «إن المقسطين عند الله على منابر من نور، عن يمين الرحمن- عز وجل- وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا» (مسلم، برقم: 1827). وفي معرض تنديد القرآن بأفعال المنافقين وأهل الكتاب أمر الله نبيه محمدًا بأن يحكم بينهم بالعدلِ إن جاءُوهُ متحاكمين إليه، قال تعالى: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: 42]. ولنلاحظ الفعل ﴿يُحِبُّ﴾ ونسبة هذا الحب إلى الله. ولقد كان هذا القسط ديدن الأنبياء جميعاً، فقد أقاموا موازين العدل بين أتباعهم وتوجهوا بدعوتهم للجميع من أجل أن يكونوا عادلين في أقوالهم وأفعالهم، كنبي الله شعيب- عليه السلام- الذي قال بقول الله: ﴿وَيَاقَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [هود: 85]. وهو هُنَا يستخدم كلمة الناس؛ لأنَّ قيمةَ العدل حقٌ للجميع مهما كانت أديانهم وطوائفهم وأعراقهم وألوانهم. ولقد قال الله لداوود - عليه السلام-:

﴿يَادَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: 26]. فإن الحكم بين الناس –جميع الناس- لا ينبغي أن يحيد عن الحق قيد أنملة، وعكس الحق هو الباطل ويبدأ طريقُ الباطل باتباع الهوى، والهوى يقود إلى الظلم، والظلم مؤذن بخراب العمران كما يؤكد علماء الاجتماع من خلال استقرائهم لتأريخ دول العالم في كل العصور، ومنهم ابن خلدون الذي قادته استقراءاته هذه، وهو يؤلف كتابا في التأريخ، إلى وضع مقدمة لكتابه، سرعان ما صارت أساساً لعلم الاجتماع السياسي، وعُرف هذا الكتاب ب (المقدمة) أو (مقدمة ابن خلدون). ويطلق القرآن على العدل مصطلح الحق الذي يتكرر كثيرا وإن كان أشمل من العدل، يقول تعالى في هذا على ألسنة أهل الجنة: ﴿لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: 43]. وهذه هي الحقيقة التي لا تقبل الجدال، فإن كل الأنبياء جاؤوا بالحق الذي يتضمن تقديس حرياتهم وإقامة العدل بينهم والمحافظة على حقوقهم.

– تفويض القادة بعض سلطاتهم لمن يثقون بهم:

إن اجتماع مقاليد الأمور كلها بيد شخص واحد مدعاة للتسلط والاستبداد، ولذلك ينبغي اكتشاف أصحاب القدرات والمهارات وتقريبهم من صانع القرار للاستفادة منهم، كما فعل موسى عليه السلام إذ طلب من الله تَوزير أخيه هارون لأنه أفصح منه لساناً، وعند غيابه كان يفوض سلطاته له، قال تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: 142]. وهو هنا لم يكتفِ بتفويض هارون وإنما أوصاه آمراً إياه بالإصلاح وناهياً له عن اتباع سبيل المفسدين. وكان لسليمان -وهو أعظم ملوك الأرض- بطانة من علماء الإنس والجن، وكان يستشيرهم ويطلب منهم الإعانة، كما فعل حينما أراد المجيء بعرش بلقيس من اليمن إلى الشام في زمن قصير، فعرض الأمر على البطانة وكان عفريت من الجن قد أبدى استعداده لأن يأتي بالعرش قبل أن يقوم سليمان من مقامه، لكن الذي عنده علم من الكتاب من الإنس قال كما قال الله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل: 40]. قبل أن يرجع إليك بصرك.

5. القوة وصلابة الإرادة:

نبدأ من حيث انتهينا في الفقرة السابقة، فإن الاستشارة الإنسانية والمقرونة بالاستخارة الرحمانية، لا توصل أصحابها إلا إلى خير. ولذلك يأتي بعدها العزم والحسم، فإن الارتياب يَفُتّ في عضد العزم، والتردد ينال من قوة الإرادة، مما يؤدي إلى تآكل الفاعلية، ولهذا قال الله لنبيه محمد بعد أمره بالمشاورة: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: 159]. فإن العزيمة القوية وليدة التشاور الجماعي، فلقد استشار النبي صحابته في أمر البقاء في المدينة أو الخروج لمقاتلة المشركين يوم أُحُد، وعندما لَبِس عُدّة الحرب خرجَ وكانت الكراهة بادية على وجهه، إذ كان يرى أن البقاء في المدينة أفضل من أجل إشراك الأطفال والنساء وجغرافيا المدينة في خطط القتال، لتعديل موازين القوة التي كانت مُختلّة بشدة لصالح المشركين. وعندما حاول الصحابة بعد ذلك إقناعه بالعدول عن الخروج أبى وأصرَّ على الخروج، حتى يعطيهم درساً في العزيمة النافذة التي ينبغي أن تتولّد من رحِم الشورى. وفي ذات السياق اقترحت ابنة شعيب على أبيها أن يستأجر موسى للعمل معهم، مقرنةً طلبها ببيان صفتي أهليته لهذا الترشيح، فقالت كما قال الله: ﴿يَاأَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص: 26]. والقائد في المفهوم الإسلامي هو أجير من قبل رعيته وفق تعاقد واضح الحقوق والواجبات، ولا بد أن يتحلى بالقوة والأمانة، القوة التي يستطيع بها القيام بواجباته على الوجه الأمثل، والأمانة التي تمنعه من التفريط بحقوق رعيته بأي صورة من الصور، ومن الإفراط في البحث عن حقوقه. ومن أهم أسباب القوة في هذا العصر امتلاك وسائل الإعلام القوية، ويعطينا القصص القرآني درسا شديد الأهمية في بيان قدرة الإعلام على تجريف الحقوق وشيطنة الخصوم، من خلال تكرار الدعاية التي تقوم على قاعدة تقول: "ما تَكرّر تَقرَّر" (العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، 12/ 218)، فقد ظلت الوسائل الإعلامية لفرعون تكرر أمام الشعب المصري أن موسى ساحر، ومع تتابع الآيات والعقوبات الإلهية التي ظهرت على يد موسى فإن أجهزة الإعلام لم تتوقف عن ضخّ أكاذيبها حتى استقر في وعي الناس أن موسى ساحرٌ، وبدا لهم من كثرة التكرار أن الأمر حقيقي وأشبه بالأمر البديهي؛ ولذلكَ فإنهم حينما عجزوا عن متابعة الحياة مع وجود الجراد والقُمّل والضفادع والدم، ذهبوا إلى موسى مسترحمين، وبدلا من أن يقولوا له يا رسولَ الله أو حتى ينادوه باسمه

قالوا له: يا أيها الساحر، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا يَاأَيُّهَ السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: الزخرف: 49]. ولقد حدث هذا التجريف لوعي الناس منذ آلافِ السنوات، فكيف هو تأثير الإعلام في زمننا على العقول والقلوب وقد تقدمت أجهزته وتطورت كوادره المتخصصة، بل وتعددت وسائله وتنوّعت أساليبه، واستطاع أن يكون رفيق الإنسان في حركاته وسكناته، ويدخل عليه من أبواب متفرقة، ويمتلك قدرات رهيبة تُمكنه من قلب الحقائق ونسف الثوابت وتزيين الباطل وتقبيح الحق؟!

6. الصبر والثبات على الحق:

من سمات القيادة الواردة في قصص الأنبياء والصالحين، حضور الصبر في تكوين القادة واتسامهم بالثبات على الحق والثقة بتأييدِ الله ونصره لهم، ففي الحديثِ قال عبد الله بن مسعود: كأني أنظر إلى النبي- صلى الله عليه وسلم- يحكي نبيا من الأنبياء ضربه قومه فأدموه، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون» (البخاري، برقم: 3477).

– الثقة بالله:

لقد امتلكَ جميعُ الأنبياء إيماناً أقوى من الجبال، ذلك الإيمان البرهاني الذي لا يخالطه أدنى شك، ومن شجرة الإيمان الباسقة ظهرت ثمرة اليقين بموعود الله والثقة بما عنده، هذه الثقة هي التي جعلت نوحاً عليه السلام يصنع سفينةً ضخمةً على اليابسة، ودفعت إبراهيم لخوض النار العظيمة في العراق بدون تردد، وترك طفله الوليد وزوجته الضعيفة وحيدين في واد غير ذي زرع وبدون أي تفكير أو تردد، وهي التي جعلت موسى يقود قومه نحو الهدف المنشود بكل طمأنينة رغم أن البحر أمامهم وجيش فرعون خلفهم، وحينما انبعث الضعف البشري من قلوب بعض أصحابه وصاحوا بألسنة الفزع بقول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [الشعراء: 61] ، قال بلسان الواثق قلبه والممتلئة يده بموعود ربه: ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: 62]. وكانت هذه الثقة العظيمة هي التي دفعت أمّ موسى لرمي فلذة كبدها الوليد وسط اليمّ المتلاطم، موقنةً بأنه سيعود إليها سالماً غانماً. وهي ذات الثقة التي جعلت

محمدا- عليه السلام- يقول لأبي بكر: "ما ظنك باثنين الله ثالثهما" (البخاري، برقم: 4663)، حينما همسَ أبو بكر في أذنه: لو نظر أحدهم تحت قدمه لرآنا، وذلك بعد أن اقترب المشركون من فتحة الغار الذي اختبأ فيه مع صاحبه!

- الصبر:

ما دام المؤمن موقنا بموعود الله فإنه سيصبر على لأواء الطريق، ولقد أوضح القرآن أن الصبر أخصر الطرق للإمامة والقيادة، فقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: 24]. ولقد كان جميع الأنبياء جبالاً في الصبر، مع وجود تفاوت نسبي بينهم كتفاوت قوة الجبال، فهناك خمسة منهم بلغوا الذُّرى العالية وهم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد، وقد سماهم القرآن أولي العزم من الرسل، كما قال تعالى لحبيبه محمد: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ﴾ [الأحقاف: 35]. وقد أمره الله بالصبر في تسعة عشر موضعاً من القرآن، وفي عديد من المواضع كان يدعوه للاقتداء بالأنبياء الصابرين قبله، لكنه استثنى نبيا واحدا ذكره بالوصف وهو يونس الذي ترك قومه وذهب مغاضبا، قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [القلم: 48]. ومن أجمل التوجيهات الإلهية للمصطفى محمد بالصبر قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: 48]. إذ أشعره الله بأنه في معيته دائما ولا يغيب عن رؤيته وعنايته بتاتاً، ولا يزال يحرسه بعينه التي لا تنام ويكلؤه برعايته التي لا تتعب. وقد تعرّض الأنبياء للابتلاءات المتنوعة فصبروا في جبهات المصاعب ورابطوا في ثغور التحديات حتى حققوا آمالهم واعتلوا درجة الصِّدّيقية والإحسان، كنبي الله يوسف الذي تعرّض لابتلاءات كثيرة صارت مع الأيام درجات موصلة له إلى آفاق التمكين بعد أن تم تمحيصه وتأهيله، قال تعالى على لسانه: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: 90]. ولقد صبر نوح على تكذيب قومه وعلى أصناف أذيتهم طيلة عدد من القرون، وصبر إبراهيم على التكذيب وعلى الرمي في النار وعلى الأمر بذبح فلذة الكبد، وصبر يعقوب على فقدان الابن وتآمر الأولاد، وصبر أيوب على أوجاع المرض وفقدان الأولاد، وصبر زكريا على العُقم ثم صبر مع ابنه يحيى، الذي جاءه في خريف

العمر، على الاضطهاد الذي وصل إلى حد الذبح، وكم صبر موسى على غطرسة فرعون وعلى عناد بني إسرائيل وكلامهم واتهاماتهم، وهكذا كان- صلى الله عليه وسلم- فقد رباه الله قبل النبوة بمختلف الابتلاءات كاليُتم والفقر، وتَقلَّب بعد النبوة في الابتلاءات التي تراوحت بين الشدة والرخاء، بين الصحة والمرض، وابتلي بالأولاد وفقدهم، وامتُحن باضطهاد الكبراء وبالسلطة التي جاءت إليه، فنجح بامتياز في كل هذه الابتلاءات!

6. الفصاحة والقدرة على الحواروالمجادلة:

لقد أرسل الله جميع الأنبياء بألسنة أقوامهم حتى يكونوا نماذج في الفصاحة وأمثلة في البيان، وقد تمتّع جميعُهم بفصاحة بالغة وقدرة هائلة على المحاورة والجدل، وكان الوحيد الذي تعرّض في طفولته لمشكلة في لسانه فقلّلت من فصاحته هو كليم الله موسى، وكأن الله بتكليمه إياه يوضّح للخلق بأن معيار الله غير معاييرهم، بجانب أنه قد عوّضه عن نقصان فصاحته، ولعلم موسى بأهمية الفصاحة ضمن المؤهلات القيادية فقد دعا الله أن يجعل أخاه هارون وزيرا له، وذكر -كما أسلفنا- بوضوح أن هارون أفصح منه لسانا، قال تعالى: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي﴾ [القصص: 34]. وكان بجانب ذلك قد أطلق دعوة ذات علاقة بالفصاحة حينما قال بقول الله: ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ [طه: 27، 28]. فهو يعي تماماً أن الفصاحة تساعد الرعية على فقه المراد. ومن المحتمل أن الله قد أجاب دعوة موسى وحلَّ عقدة لسانه، فقد روى القرآن حوارات قوية له مع فرعون أكثر من هارون، ومن المحتمل أنه ظل على ما هو عليه، إذ إن فرعون قد عيّره بنقص اللسان حينما خطب في قومه قائلاً بقول الله: ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الزخرف: 52]. ولا ندري هل كان يعيره على ما كان فيه من لثغة اللسان؟ أم أنها ظلت على حالها؟. وبجانب الفصاحة اشتهر الخليل إبراهيم بقدرة هائلة على المجادلة وإفحام الخصوم، فقد أفحم الطاغية النمرود في حوار مليء بالحجج المنطقية وزاخر بالبراهين العقلية، وتنضح منه القوة النفسية والعذوبة اللسانية، وفعل مثل ذلك مع قومه الذين كانوا يعبدون الأصنام حتى أنهم حينما غلبهم بحجته وعجزوا عن الرد عليه أوقدوا نارا عظيمة ورموه فيها. ولقد ابتعث الله محمدا من أفصح الأمم واصطفاه من أبلغ

القبائل، وكان آية في الفصاحة حتى أنه- صلى الله عليه وسلم- أوتي جوامع الكلِم، ومع ذلك فقد قال له الله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ [النساء: 63]. وهكذا فقد أمر اللهُ أبَا البلاغة أن يقول للمنافقين قولاً بليغا، فكيف إن كان القائل غير محمد، والمقول له غير المنافقين؟. وكم وصف الله البلاغ بأنه مبين في كل مرة يُذكِّر الله نبيه بأن وظيفته إنما هي البلاغ فقط، مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النور: 54]. أو في مواضع تذكير الناس بهذه الوظيفة، كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [المائدة: 92]!.

ثالثاً: مهاراتُ القائد في القرآن الكريم:

ينبغي للقائد في الرؤية الإسلامية أن يتسلح بجملة من المهارات التي تعينه على توجيه الجماعة، وحماية المصالح العامة، ومنع أسباب الفساد والانهيار، وقيادة سفينة المجتمع نحو الاستقرار والنجاح، وتؤكد السنة النبوية هذا المعنى من خلال تصوير بليغ لمسؤولية القيادة والجماعة، فعن النعمان بن بشير - رضي الله عنهما-قال: قال النبي- صلى الله عليه وسلم-: " مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا، وهلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا، ونجوا جميعا " (البخاري ، برقم: 2493) ويكشف هذا الحديث عن جملة من الدلالات القيادية المهمة؛ إذ يبين أن سلامة المجتمع لا تتحقق بمجرد صلاح بعض أفراده، بل تحتاج إلى وعي جماعي، وقيادة يقظة، وقدرة على منع التصرفات الفردية التي قد تبدو محدودة في ظاهرها، لكنها تؤدي إلى هلاك الجميع في مآلاتها، فالقائد الرشيد الذي يمتلك مهارة إدراك الخطر قبل وقوعه، ويمنع الفساد في بداياته، ويوازن بين حرية الأفراد ومصلحة الجماعة، ويتخذ القرار المناسب في الوقت المناسب ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: 25]. فالقائد في الرؤية القرآنية عليه أن يتسلح بعدد من المهارات المساعدة على قيادة دفة السفينة بكفاءة عالية نحو مرافئ النجاح، وأبرز المهارات اللازمة بيانها على النحو الآتي:

1. الحكمة وحسن التصرف:

سيواجه القائد مشكلات عويصة، وقد تأتي بعضها بطريقة ليست في الحسبان، ومن ثم فإنه ينبغي أن يكون متسلحاً بالحكمة التي تمنحه القدرة على وضع كل شيء في مكانه الصحيح بقدره المعقول وفي الوقت المناسب. ويبدو أن الحكمة منهج متكامل في التصرف المثمر مع المواقف، وفي التعامل الذكي مع المشكلات، ومن صور الحكمة في موضوعنا:

– تقديم المصلحة على الحق في بعض المواضع:

ينبغي في بعض الظروف أن تتقدم المصلحة على الحق إذا كان الحق سيتسبّب في جَلب مفسدة أخطر أو تفويت مصلحة أكبر، وهذا يوسف- عليه السلام- يعطينا درساً مهماً في هذا السياق، حيث ورد في قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: 77]. فقد كان يوسف مفترى عليه وتعرّض للظلم الذي أضاع من عمره سنينَ عدداً في ظلم العبودية وفي ظلمات السجن بسبب ظلم إخوته له، وفي ذات الوقت كان يستطيع تفنيد الافتراء ورد الإساءة عليهم فهو الآن وزير مالية مصر، لكنه ردّ عليهم في نفسه ولم يتكلم لاعتبارات يعرفها في نفسه، وربما تكون إحداها رغبته بعدم سماع المصريين بقصته مع إخوانه حتى لا يتم الاستهانة بهم، مما قد يؤثر على مكانته المرموقة ودوره الإصلاحي. ويُشبه ذلك عدم قيام النبي- صلى الله عليه وسلم- بإعادة الكعبة إلى ما كانت عليه من قواعد إبراهيم الخليل، فعائشة -رضي الله عنها- قالت، قال لي : النبي صلى الله عليه وسلم: «يا عائشة لولا قومك حديث عهدهم - قال ابن الزبير - بكفر، لنقضت الكعبة فجعلت لها بابين: باب يدخل الناس وباب يخرجون» (البخاري، برقم: 126). وعدم قتله لعبد الله بين أبي، رغم معرفته بدوره الخياني؛ وذلك درءًا للفتنة التي قد تنشأ بسبب ذلك. قال عمر بن الخطاب- رضي الله عنه-: دعني، يا رسول الله، أضرب عنق هذا المنافق، قال النبي- صلى الله عليه وسلم-: «دعه لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه» (البخاري، برقم: 4907).

– تضييق دائرة الاتهام والعقاب:

ومن صور الحكمة في معالجة المشكلات قيام القائد بتضييق دائرتها إلى أدنى ما يمكن، وقد أشرنا من قبل إلى ما قام به الكليم موسى حينما واجه فتنة السامري، فقد أخبرنا القرآن بأن جميع بني إسرائيل قد انخرطوا في هذه الفتنة باستثناء هارون بدليل قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾ [طه: 88]. أي أنهم تبنوا القول بألوهية هذا العجل بل وزعموا أن موسى نسي ربه عندهم وذهب يبحثُ عنه في جبلِ الطور، لكن موسى ضيّق دائرة اتهامه في هذا الفعل وحصره في السامري، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ

تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ [طه: 97]. هذا مع أنهم ألّهوه جميعا وظلوا عاكفين عليه، لكن موسى حمّل السامري المسؤولية وحده ثم فرض عليه عقابا بينما اكتفى بمعاتبة الآخرين وتذكيرهم بوحدانية الله، ونجح بهذه السياسة الحكيمة في نسف الفتنة من جذورها.

– مراعاة تخصصات الناس واختلاف قدراتهم:

لا يتعامل القائد الحكيم مع رعيته على أنهم صور طبق الأصل من بعضهم، فهم ليسوا آلات جامدة وإنما هم بشر تنتصب في أوساطهم الكثير من الفروق الفردية في التفكير والذكاء، وفي الطبائع والأمزجة والمشاعر، بجانب تعدُّد زوايا النظر واختلاف البيئات التي عاشوا فيها والتأثيرات التي تعرضوا لها، وهذا ينبغي مراعاته كله في التعامل معهم. ويعطينا القصص القرآني درساً آخر في هذا السياق، قال تعالى عن موسى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الأعراف: 45]. فقد أمر الله موسى بأن يأخذ بالتوراة كلها: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾، ووجهه بأن يأمر قومه بالأخذ بأحسنها: ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾، ومن المعلوم أن كلمة ﴿بِأَحْسَنِهَا﴾ من أفعال التفضيل، لكن تعاليم الله ليس فيها ما هو حسن وما هو أحسن، ومن باب أولى ما هو غير حسن، فهي متشابهة في الحُسن، وكأن الله يدعو الناس للتركيز على تدبر تلك التعاليم، حتى تستقر في العقل الباطن الذي تصدر عنه القرارات في المَحكّات العملية، ومن ثم يدخلون إلى محراب العبادة الشاملة من خلال الشُّعَب التي يجيدها كل واحد منهم حتى تكون فاعليتهم عالية، على طريقة الحديث النبوي الذي يقول فيه الرسول- صلى الله عليه وسلم-: "اعملوا فكلٌ مُيسَّرٌ لما خُلق له" (البخاري، برقم: 4949)، بمعنى أن أحسنها هنا يختلفُ من شخصٍ إلى آخر بحسب اختلاف الميول والمواهب والتخصصات، ولو ركز كل واحد على ما يُحسن فإن فاعلية المجتمع ستكون عالية جداً في الجملة.

2. مهارة التحسين والتجويد:

من المعلوم أن الكمال في الأداء الإنساني لا سقفَ له، إذ يظلُّ في الإمكان أحسن مما كان، ومن ثم فإن من المهارات التي ينبغي أن تكون حاضرة في شخصية القائد الحرص الدائم على اتباع السبل والوسائل التي تؤدي إلى تطوير وتجويد أدائه وأداء من هو مسؤول عنهم. قال الله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: 2]، وفي الحديث: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملًا أن يتقنه» (الطبراني، برقم: 897). ومما يتطلبه هذا الأمر:

– الحرص على بُلوغ الإحسان:

الإحسان تصور ينتمي إلى الحق وسلوك مُناسب في خدمة الخَلق، وهو أخلاق تروي القلوب ودأبٌ في محراب العمل يحرص على تحقيق الإنجاز، بحيث يتفوق المرء على نفسه في كل يوم جديد ويكون أفضل من اليوم الذي سبقه، سواء في الأداء الكَمّي أو في الإتقان الكيفي. ويعطينا القرآن نموذجا في هذا الدرب ولكن بدون تفصيل، من خلال قصة الصِّدّيق يوسف الذي نلمس ما قدَّمه للناس من تعاملات بلغت الذروة في النفع والرقي، من خلال تسميتهم له بالمحسن، ففي السجن طلب منه بعضهم أن يفسر له حلمه وقال له: ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: 36]. بما يعني أنهم قد رأوا إحسانه واضحا للعيان في السجن، وحينما تولى مسؤولية بيت المال لم يتغير إحسانه، ومثلما أدرك السجناء إحسانه فقد رأى الغرباء هذا الإحسان -الذين هم إخوته لكنهم لم يعرفوه-، ولذلك فقد قالوا له: ﴿إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: 78]. وقد استخدم الطرفان ضمير الجمع ﴿إِنَّا﴾ والفعل ﴿نَرَاكَ﴾ مما يدل على أن إحسانه ظاهر للعيان عند الجميع ولا يحتاج إلى تأمل طويل ولا إلى استنتاج عميق.

– إحسان اختيار المساعدين:

لقد رأينا كيف أن موسى عليه السلام حينما شعر بنقص في لسانه سأل الله أن يعينه بأخيه الفصيح هارون، وقد استفاد الخليل إبراهيم من ابن أخيه لوط في دعوته ثم من ابنه إسماعيل في بناء الكعبة، واستفاد عيسى من ابن خالته يحيى، وأبلغ من هذا ما فعله النبي- صلى الله عليه وسلم- فقد أيّده الله بنصره وبالمؤمنين، إذ أحسن- صلى الله عليه وسلم- التنقيب عن أصحاب

المواهب والقدرات والذين سماهم بـ(الرواحل)، ووظَّفَ الجميع في الأماكن التي تناسبُ كُلاً منهم، وقرّب منه الأقوياء وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون الأربعة الذين أثبتت الأحداث أنهم قد اعتلوا نواصي العبقرية والعظمة بكل اقتدار، لدرجة أن التأريخ البشري لم يشهد وجود مثل أولئك العباقرة من الصحابة ضمن أصحاب أو تلاميذ شخص واحد، وكان عددهم بعشرات الآلاف من العمالقة في سائر مجالات التفوق الإنساني. فعن أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه- عن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: " ما بعث الله من نبي، ولا استخلف من خليفة، إلا كانت له بطانتان: بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه، فالمعصوم من عصم اللهُ تعالى " (البخاري، برقم: 7198).

– إحسان إعداد اللوائح التي تنظم العمل:

يُعد محمد- صلى الله عليه وسلم- أفضلَ مثال في موضوع إعداد اللوائح، فقد أعد ما سميت بـ(صحيفة المدينة) أو (وثيقة المدينة) التي كانت أول عقد اجتماعي بين الحاكم والمحكوم بل وأول دستور في تأريخ البشر، إذ أرسى فيه نظاماً هو أقرب وثيقة تأريخية لنظام المواطنة، في هذا العصر، حيث نظم العلاقة بين المسلمين وبين اليهود وبقايا المشركين على أساس التكافؤ، ومنح الجميع حقوقا متساوية وألزمهم بأداء واجبات متماثلة وأهمها الدفاع المشترك عن المدينة في حالة تعرضها لأي هجوم من أي طرف كان، وفيها: "وإنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثا ولا يؤويه، وإنه من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل، وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده إلى الله عزوجل وإلى محمد -صلى الله عليه وسلم-." (السيرة النبوية لابن كثير، 2/ 322).

– إحسان تطوير الوسائل:

لا شك بأن الوسائل لا تعرف الثبات، فهي في تغيّر دائم، وكل وسيلة تحقق الهدف بصورة أشد كفاءةً وفي وقت أقصر أو بجهد أقل، هي من الأمور التي ينبغي البحث عنها عبر الابتكار والتطوير

الذاتي أو عبر الاقتباس الخارجي، والقائد هو المعني بالدرجة الأولى بهذا الأمر، بحكم أنه مسؤول عن من يدير شؤونهم، وقد أمر الله جميعَ المؤمنين بابتغاءِ الوسائل الناجعة في تحقيق الغاية العظمى للشريعة وهي جلب المصالح ودرء المفاسد، فقال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: 35]. وأدقُّ ما قيل في تعريف حقيقة التقوى: " أن لا يراك الله حيث نهاك ولا يفقِدَك حيث أمرك " (تفسير أبي السعود، 1/ 28)؛ بما يجعل تطوير الوسائل أمراً واجب النفاذ، بحيث تنجح في تجسيد تقوى الله في قضية الاستخلاف وعمارة الأرض على الوجه الأمثل.

3. مهاراتُ الاقتراب من الناسِ:

إن كسب قلوب الناس أصبح علما يدرس وله أدبياته وفنونه وقواعده، والقائد هو أولى الناس بالاستفادةِ من هذا العلم، بحيثُ يلتحمُ بالناسِ حتى يحققَ أمانيهم المعقولة ويلبي طموحاتهم المشروعة. ولكي يحدث ذلك لا بد مما يأتي:

– اكتسابُ مهارةِ التبسُّطِ:

ينبغي للقائد أن يتعلمَ كَيفَ يجسد خُلق التواضع في تعامله مع من هو مسؤولٌ عنهم، ولأن القرآنَ كتابُ قِيَمٍ كُلّية ولا مكانَ فيه للتفاصيل والتفريعات، فقد احتوى على عَدَدٍ مقدر من التوجيهات العامة في هذا الإطار، لكن تجزيئ هذه القيم إلى أجزاء صغيرة يمكن تطبيقها والتدرب العملي على تجسيدها؛ يحتاج إلى إرادة وتجريب ونزول إلى الميدان مع الاستفادة من خبراتِ من لهم باع طويل في هذا المضمار. ومن الآيات التي وردتْ في هذا قوله تعالى للحبيب محمد- صلى الله عليه وسلم-: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: 215]. كأنه تعالى يقولُ له: اجتهد في النزول إلى الناس والتبسّط معهم، فقد كانَ مِثَالاً كاملاً في التواضع، لكن امتلاك المهارة العملية في التأثير على الناس والولوج إلى قلوبهم يحتاجُ إلى وسائل وأساليب متعددة بل ومتطورة بصورة مستمرة. ولما كانَ كل عظيم يريد من ابنه أن يصبح قائداً، فقد عملَ لقمان الحكيم في اتجاه أن يصبح ابنه قائدا، وكانت توجيهاته ونصائحه له تَنْصَبُّ في هذا الإطار، ومنها قوله له كما جاء في القرآن: ﴿وَلَا

تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان: 18، 19]. ومن تأمّل هذه المعاني سيجد أنها تقرب المتصف بها من الناس وأنها تدفعه للبحث عن المزيد من الأساليب التي تجعله قريبا من عقول الناس وقلوبهم.

– إتقان مهارة الإصغاء:

لما كان محمد- صلى الله عليه وسلم- رحمة للناس وحريصا على ولوج قلوبهم حتى يصدقوه فيما يدعوهم إليه، فقد كان يجيد الاستماع إليهم صغارا وكبارا، ذكورا وإناثا، وقد اشتهرت هذه الصفة عنه لدرجة أن المنافقين حاولوا أن يعيبوه من خلالها بل وسمّوه أُذنا، كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ﴾ [التوبة: 61].

– تفعيل الثواب والعقاب:

العدلُ قيمةٌ عظيمةٌ تؤدي إلى نشر ظلالِ الحُبِّ والرضى بينَ الناسِ، ولا شَكَّ بأن تفعيلَ مبدأ الثواب والعقاب من أسس العدل ومن أسباب اقتراب القائد من رعيّته. وفي القرآن الكريم إشارات مهمة إلى هذا الأمر ومنها ما ورد في سورة الكهف وذلك في قصة الملك العادل ذي القرنين، فقد آتاه الله من كل شيء فكان على قدر المسؤولية، حيث أقام سائر القيم والأسباب التي تبني الحضارة وعلى رأسها العدل، فحينما بلغ مغرب الشمس بدا كأن الله يمتحنه في مدى وعيه بفروع العدل، قال تعالى: ﴿قُلْنَا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا * قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا * وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ [الكهف: 86 - 88]. وبهذا المبدأ يحصل كل فرد على الجزاء المستحق مما يحقق الأمن ويسمح لأشجار التقدم الحضاري بالازدهار، وهذا يزيد في قرب القائد من رعيته.

– الوقوف في مقدمة صف التضحية:

كم يشعر الناس بقرب قائدهم منهم حينما يجدونه في مقدمة صفوف الواجبات، ويرونه يتقدم صفوفهم عندما يتطلب الأمر شيئا من التضحية، وهذا ما كان عليه الأنبياء فقد كانوا يدعون الناس بالأفعال قبل الأقوال، وذلك في كل معارك الجهاد بشقيه الناعم والخشن، حتى لقد قال القرآن الكريم: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: 146]. أي كم قُتل من نبي معه أتباع كثيرون، ولقد كان الصحابة يحتمون بالنبي- صلى الله عليه وسلم- حينما يحمي الوطيس كما ورد في كتب السيرة النبوية.

– التيسيروتكليف الناس بما يطيقون:

كان محمد- صلى الله عليه وسلم- أعظم قادة البشر لامتلاكه صفات العظمة التي يحبها الناس والتي لم تجتمع لأحد مثله، ومنها أنه كان يميل إلى التيسير ويكره التعسير، حتى أن الله وصف بعض مهماته فقال تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: 157]. فقد كان مُيسرا لا مُعسرا، وما خُيّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما، وكان يحث أتباعه على اتباع صراط الوسطية والابتعاد عن طرفي الغلو والجحود، وظل يدعوهم للتمتع بالطيبات محذراً إياهم من تحريم ما أحل الله لهم، وكان يُحبب لهم الأخذ بالرخص في مواضعها مثلما يحثهم على الأخذ بالعزائم في أوقاتها؛ ولهذا وغيره فقد صار أحب إليهم من أنفسهم بل وصار أكثر الأنبياء والمصلحين تأثيراً بين البشر.

4. مهارةُ التبشيروزراعة الأمل:

يتكونُ الإنسان من بُعدين: البُعد الترابي المادي، والبُعد الروحي المعنوي، ولكل بعد طبائعه التي تؤثر على تصورات الإنسان وتصرفاته، ويصبح الإنسان أقوى وأرقى بقدر ما يعتلي فوق تأثير التراب دون أن يتنكر للمطالب الطبيعية للجسم. والقائد الرشيد هو الذي يمتلك المهارات

الضرورية لمساعدة رعيته على الترقي في آفاق الفاعلية وصناعة الحياة، من خلال محاصرة غرائز الطمع والجشع وتفتيق ينابيع القناعة والرضى، والتضييق على مشاعر الجبن مقابل إطلاق طاقة الشجاعة، وهكذا في سائر القيم ذات البُعدين المتضادين. ولا شك أن من أهم الأمور المساعدة على تحقيق ما ذكرناه هنا هو استخدام البشارات كحوافز تدفع أصحابها للتفاني في العمل، واستثمار الأمل كدافع لتحقيق التقدم نحو الأمام وعدم التوقف أمام عقبات الطريق أو السقوط في مستنقع اليأس والقنوط. وهذه واحدة من وظائف القائد الراشد دون أن يقلل ذلك من مسؤولية المرء نحو نفسه، إذ ينبغي عليه أنْ يبثَّ البشاراتِ في طريق من يقودهم وأن يزرع الأمل في أنفسهم حتى لا يخنقهم الإحباط والقنوط. ويُعلمنا نبي الله يعقوب درسا مهما في هذا الدرب، فحينما جاءه أبناؤه بدم كذب زاعمين أن الذئب قد أكل يوسف قال لهم بقول الله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: 18]. وبعدما قالوا له بأن ابنه الآخر بنيامين قد سرق في مصر وأخذه العزيز نتيجة ذلك، قال لهم بقول الله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف: 83]. ويعقوب هنا لا يفتح لنفسه باب الأمل فقط ولكنه كقائد يربي أتباعه على التأسّي به -في مثل هذه الظروف الصعبة- في عدم فقدان الأمل، فقد ردّد نفس العبارة الاتهامية السابقة لكنه انتقل من العتاب إلى فتح باب الرجاء لمعرفته بأن الفرج إنما يخرج من رحم الشدة، ثم انتقلَ من دائرةِ الشعورِ القلبي إلى ساحةِ الفعل العملي بقوله لأبنائه كما قال تعالى: ﴿يَابَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: 87]. ولأن المهارات متصلة بالصفات فإن الرجاء يأتي كثمرة لصفة العلم، فحينما قال المحيطون بيعقوب له، كما قال تعالى: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ [يوسف: 85]. قال لهم بوعي العقل ورجاء القلب، كما قال الله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: 86]. ومن المؤكد أن ما كان يعلمه يعقوب لم يكن أمرا غيبيا صرفاً، ولو كان كذلك ما عميت عيناه من الحزن، فقد كان يدرك أن الله أراد أن يمتحنَ إيمانه وصبره ويختبر يقينه وثقته به، ويعرف أن هذا الأمر يدخلُ في صميمِ الإيمانِ بالغيبِ والثقة بعدل الله وعدم خذلانه لأوليائه، وعلى هذا

الأمل ظَلَّ يعيشُ. وحينما كانَ أبناؤه في الطريق راجعين ويحملونَ قميصَ يوسفَ في أيديهم، اشْتَمَّ رائحة يوسف بأنفِ الرجاء الذي لم يغادره أبدا رغمَ أنه فقد بصره من شدة الحزن، فقال لمن حوله بأنه يشتم ريح يوسف، فقالوا له كما قال الله تعالى: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ [يوسف: 95]. لكنه رد عليهم بروح العارف بالله بقول الله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: 96]. وهكذا فإنَّ الأملَ طاقةٌ ضخمةٌ تستطيعُ أن تزيحَ أحجار الإحباط من طريق العمل والدأب، وما دمنا قد توقفنا في هذه الفقرة مع مثال من سورة يوسف، فيمكن القول بأن القائد الذي يشيع مشاعر التفاؤل ويزرع فسائل الأمل ويفتح أبواب الرجاء، هو الذي يستطيع أن يصنع من (كفن اليأس) القاتل (قميصَ يوسفَ) الذي يشفي الأعين من عمى الرؤية، ويُخلص الأيدي من شلل الإرادة.

5. مهارات حفظ الأمن:

تَعُجُّ الحياةُ بالكثير من الخصوم والمنافسين، وتزخر بالوفير من الأعداء الذين لا يغمض لهم جفن ولا يروق لهم بال إلا إن آذوا غيرهم، حيث يسعد هؤلاء بقدر ما يشقى غيرهم، ويقيسون نجاحهم بقدر ما يُفشلون للآخرين من مشاريع وما يُبطلون لهم من أعمال، وواجب القائد أن يكتسب المهارات الضرورية لحفظ مجموعته أو جماعته من الاختراق. ومن هذه المهارات الاستعانة بالكتمانِ على قضاءِ الحوائج مهما كانت بسيطة، وتدريب الأعضاء على كتم الأسرار مهما كانت عادية، وهذا ما كان يفعله النبي- صلى الله عليه وسلم- في سائر تحركاته ولا سيما في المنعطفات الرئيسية من مسيرة حياته وجهاده، لدرجة أنه قبل أن يقرر الهجرة من مكة كان يرتب كل شيء دون أن يخبر حتى أبا بكر الصديق وهو أقرب الناس إليه، وحينما جاءه الأمر بالهجرة إلى المدينة وكان قد طلب من أبي بكر أن يُعد بعض عدة السفر دون أن يخبره بالموعد؛ جاءه في البيت وسأله عن من يوجد عنده في البيت ثم همس في أذنه بأن الله قد أذن لهما بالهجرة، ثم أخذ بأقصى درجات الحذر طيلة مراحل هذه الرحلة المحفوفة بالمخاطر. ولخطورة هذا الأمر فقد اعتبر القرآن إفشاء أسرار المسلمين جريمة تصلُ إلى حدِّ الخيانة العظمى، كما في قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: 27]. ولا

يجادل عاقل في أن من أهم مفردات الجانب الأمني ركوب صهوة الحذر دائما ولا سيما في أوقات الأزمات والحروب والكوارث، فقد وصل الأمر إلى تشريعِ صلاةٍ خاصةٍ في أوقات الحرب تسمى (صلاة الخوف) بل وذكر القرآن كيفيتها في نص يُتلى إلى يوم القيامة، كما ورد في الآية 102 من سورة النساء.

6. مهارة النقد الذاتي:

تنسَلّ مهارة المراجعة والنقد الذاتي من صفةِ الشعور بالمسؤولية، إذ إنَّ الطبيعة البشرية تقتضي الخطأ والنسيان وتُحتِّم المراجعة ونقد الذات، وفي الحياة الأولى لآدم علّمنا القرآن درسا بالغا، فقد أمر الله إبليس بالسجود لآدم لكنه عصاه ولم يسجد، ونهى الله آدمَ عن الأكل من الشجرة لكنه عصاه وأكل، وفي كلتا الحالتين ارتكب كل واحد منهما معصية لله، فلماذا غفر الله لآدم ولم يغفر لإبليس؟ .. هناك عدد من العوامل مسؤولة عن هذا الفرق لكن أهمها هو ما له علاقة بموضوعنا، فقد اعترف آدم وزوجته بالخطأ وتحمّلا المسؤولية وطلبا من الله أن يتوب عليهما، كما قال تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: 23]. بينما لم يراجع إبليس نفسه ولم يعترف بخطئه، وزاد الأمر سوءً بأن نسب الغواية إلى الله، حينما قال بقول الله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: 39]. وهو عذر أقبح من الذنب نفسه؛ لأن الخطأ يتعلق بأمر اعتقادي، كأنه يقول بأن الله أجبره على الغواية ولم يكن حرا مختارا فيما فعل. وهذا يُبيّن لنا مدى أهمية المراجعة لما فات من الأفعال وامتلاك مهارة نقد الذات لما صدر عنها من أفكار وأقوال، فلقد تحدّث القرآن عن النفس التي تلوم صاحبها على ما صدر منه من قصور أو تقصير، وأعاد كل مصيبة تنزل بالمجتمع إلى ما كسبت أيدي أبنائه، وربط ظهور الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس، وحث على ثلاثية المراقبة والمحاسبة والمجاهدة، وكان محمد- صلى الله عليه وسلم- هو التجسيد العملي الراقي لقيم القرآن كلها ومنها ما يتصل بهذا المجال، فمع أنه قد بلغ ذروة الكمال البشري إلا أنه كان يستغفر الله ويتوب إليه في اليوم سبعين مرة.

7. مهارة تركيز الطاقة:

ينبغي للقائد أن يكونَ على معرفة ممتازة بالواقع الذي يعيش فيه، بل وبكل ما يؤثر على واقعه الداخلي، وينبغي ألا ينسى بأن طاقته محدودة مهما كانت قواهُ وإمكاناته، فهو في الأخير إنسان محدود الطاقات والإمكانات، ومن ثَمَّ فإن عليه أن يمتلكَ مهارة تركيز الطاقة في المجال الأقوى تأثيرا. وعند تدبر قصة ذي القرنين بدا لنا أن هناك درسًا مهما في هذا المجال، فقد قال تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ [الكهف: 84، 85]. فقد منحه الله من كل شيء سببا، فما كان منه، نتيجة معرفته بطبيعة واقعه ومحدودية قدراته، إلا أن اختار في كل مرة السبب الأنسب لإحداث النتيجة المطلوبة؛ ومن ثم فإنه لم يسمح لطاقته بالتبدد في مجالات عدة، وللتأكد من أن هذا الاستنتاج يحمل قدرا من الوجاهة، فقوله تعالى: ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ جاءت في موضوع التسخير إذ سخّر الله له سائر الأسباب، وذكر ذلك في قوله تعالى: ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف: 85] في الاستثمارِ والتفعيل، بمعنى أنه استخدم سببا محوريا في كل مجالٍ أو في كل بلدٍ بحكم أنه جاب كثيرا من البلدان، ثم إن السببَ في اللغة العربية يأتي بمعنى الحبلِ، فاستُعيرَ لكل ما تجتلب به الأشياء، ومن ثم فإن القائدَ الماهرَ هو الذي يمكنه ذكاؤه من الإحاطة بالأسباب الممكنة والكامنة، وتمنحه خبراته بالواقع القدرة على اختيار السبب المناسب في كل مجال؛ حتى يتمكن من تركيز طاقته بصورة مؤثرة تؤدي إلى تحقيق الهدف المنشود.

رابعا: أهم القواعد المطلوبة في صناعة القائد:

مع أن جزءا من المكونات القيادية في الشخصية الإنسانية أمر فطري وهبه الله لبعض خلقه دون تدخل منهم، غير أن هناك بعض القواعد التي يمكن عن طريقها تنمية الاستعدادات الوَهبية للقيادة وإضافة الكثير من المهارات والقدرات عن طريق الاكتساب، بما يؤدي إلى صناعة قائد متميز يجمع بين المواهب الفطرية وبين القدرات الكسبية، وفي ضوء تدبر عدد من الآيات ذات الصلة بالموضوع، يمكن إجمال أهم هذه القواعد على النحو الآتي:

1. التعلمُ عبرَ القراءة المستمرة لآياتِ الله الشاملة:

لا جِدالَ حول أن التعلمَ هو الذي يرتقي بمداركِ الإنسانِ في مدارج الترقي، ولكي يؤتي التعليم ثماره المرجوة ينبغي القيام بالآتي:

- الجمع بينَ آيات الكتاب المسطورو آيات الكتاب المنظور:

يُقْصَدُ بالكتابِ المسطورِ القرآن الكريم، ويُقصدُ بالكتاب المنظور الكون وما فيه من عجائب الخلق وعلى رأسها الإنسان نفسُه ببعديه المادي والمعنوي. ومن المعلوم أن أول سورة تنزلت على النبي- صلى الله عليه وسلم- وهي تُعِدُّه لتحمل أعباء الرسالة وقيادة البشرية من الظلمات إلى النور، هي سورة (العلق) التي تأمره بالقراءة الواعية لآيات الكتابين، وكأنَّ هذه القراءة الشاملة هي (العلق) الذي ستتكون منه خير أمة أخرجت للناس بعد أن تتدرّج في أطوار الترقي طوراً بعد طور، فقد قال الله لنبيه محمد: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: 1 - 5]. فالأمرُ الأولُ بالقراءة يشير إلى قراءة القرآن الذي تنزّل جبريل بأول مقطع منه، وستتضمّن آياتُ القرآن (الكتاب المسطور) آياتِ الكون والإنسان (الكتاب المنظور)، إذ يشِيرُ فعل الخلق في قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ إلى عموم آيات الآفاق التي خلقها الله في هذا الكون المدرَك وغير المدرَك، وتشير آية ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ إلى آيات الأنفس بما تضم من آيات مادية ومعنوية. ويشير فعل ﴿اقْرَأْ﴾ إلى أن العقل هو أداة استيعاب هذه الآيات، بما يمتلك من مداركَ متنوعة وملَكات عديدة، حيث يتم

فهم آيات القرآن عبر عملية التدبر، واستيعاب آيات الكون عبر عملية التفكر، وإدراك آيات الإنسان عبر عملية التبصر، ومن الواضح أن التدبرَ والتفكر والتبصر عمليات ذهنية تتضمن حضور العقل بالوعي وحضور القلب بالخشوع، مع فروق دقيقة بينها في التفاصيل الدقيقة.

– اعتلاء سُلَّم الترقّي عبر التعلم المستمر:

ليسَ للعلمِ سن محددة وليسَ له سقفٌ يتوقف عنده الإنسان، فمهما تعلّم الإنسان فسيظل علمه قليلاً بجانب ما أتاحه الله للبشر من علوم ومعارف، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: 85]. وقد أبان القرآن أن العلم هو السبب الرئيس للارتفاع في آفاق السمو والسموق، قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: 11]. وأشار المولى- عزّ وجلّ- إلى هذا الأمر بصورةٍ دقيقةٍ في قصة إدريس- عليه السلام- فهو النبي الوحيد الذي قال الله عنه: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: 57] ، بعد أن ذكر نبوّته وصدِّيقيته، مع أن هناك من الأنبياء من هو أفضل منه ولا سيما أُولي العزم من الرسل الخمسة، وقد حاولت معرفة سبب هذه الرفعة من خلالِ سيرته ومسيرته، فلم أجد غير ما رواه بعض المؤرخين من أنه أول من كتب بالقلم، ولا سِيَمَا أنه أول الأنبياء بعد آدم، والقلم هو الأداة الرئيسة في تقييد العلم والتعلم فالكتابة قيد للعلم وحفظ له من النسيان (نوادر الأصول في أحاديث الرسول ، 1/ 169)، كأنَّ التعلم هو من رفع إدريس مَكَاناً علياً، ولا سيما أنه أَوَّلُ من سنّ للبشر سنة الكتابة بالقلم بعد أبينا أدم عليه السلام .

– سلوك طريق الاستزادة من العلم:

لم يثبت بأن الله أمر حبيبه محمدا بالاستزادة من شيء سوى العلم، فقد ورد في القرآنِ قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: 114]. وكلمة علم في الآيةِ نكرة تفيد العموم البدلي لكي تستوعب أيَّ علم- دون قيد أو شرط، صغيرا أو كبيرا- من العلوم التي تُسهم في تحقيق المقصد الأعظم للشريعة الإسلامية، وهُو جَلْبُ المصالح للناس ودرء المفاسد عنهم. ولو تأمَّلْنا السِّيَاقَ الذي جاء فيه الأمر بالاستزادة من العلم فسنَجِدُ أن مطلع الآية، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ

﴿بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: 114]. والنهي عنِ التَّعَجُّلِ هُو دَعوَةٌ لتدبر النص القرآني، وكأنه تعالى يقولُ لرسوله ومن ورائه أمته بأنَّ العلومَ تخرجُ من رحم تدبر القرآن، ذَلكَ أنه يحتوي علَى أُصولِ آيات الأنفس والآفاق والتي تضم في بُحورِها المتلاطمة آلاف العلوم والتخصصات، وَلا شَكَّ بأنَّ تدرب العقل على الغوص في أعماقِ آياتِ القرآنِ يوصله إلى آيات الكون والإنسان مما يمنحه الكثير من العلوم والمعارف التي تحتاجها عملية خلافة الله في عمارةِ الأرض وصناعة الحياة. ويمكن القول بأن القرآن دوحة عظيمة تحمل في أعلاها سائر العلوم التي يحتاجها الإنسان من أجل أن ينجح في فَرْدَسَة دنياه في طريق عودته إلى الفردوس السماوي، لكن هذه العلوم لا تتنزل إلا من خلال هزّ جذع هذه الدوحة العظيمة، وذلك عبر قوة التدبر، ومن هنا فإن تدبر القرآن يصنع القائد القادر على تدبير شؤون الحياة بأعلى درجة من الكفاءة، ولهذا فقد خاطب الله نبيه محمدا فقال له: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: 29]. وكما أسلفنا فإن التدبر هو الذي يُظهر بركة القرآن في شمول تعاليمه لكل شُعَب الحياة، حيثُ يغوص المتدبرون في مبانيه المتناهية ليأتوا بمعاني غير متناهية تناسب كل زمان ومكان، وهذه هي الحكمة من المجيء بوصف ﴿مُبَارَكٌ﴾ في وسط أهم آيات التدبر في القرآن الكريم.

2. الاحتماءُ بدروع الصلاح:

إنَّ التمكينَ القيادي في المفهومِ القرآني رَهِينٌ بالصلاحِ علَى مستويي الأفراد والأمم، وهو الصلاح الذي يضم القيم والمفردات التي تحتاجُها منظومات عمارة الأرض وصناعة الحياة الكريمة للإنسان، كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: 105] أي الصالحين لعمارة الأرض وخدمة حقوق الإنسان، بما يتضمن منهجَ العمارة من قيم: العلم والعمل، التوحيد والإخلاص، الحرية والعدالة، القوة والأخلاق، النظام والائتلاف، وكلما توافر في مجتمع ما أكبر عدد من هذه القيم كانَ أقربَ إلى الصلاح الدنيوي، أما الصلاحُ الكاملُ والذي يستحق التمكينَ في الدنيا والفلاح في الأخرى فهو المجتمع الذي يتعبَّد الله بهذه القيم جَميعاً، بمعنى أنه يدخلُ إلى التمكين الحضاري من سائر الأبواب.

وتخبرنا قصة يوسف- عليه السلام- بأنه قد تعرّض لإغراءات وإغواءات رهيبة من امرأة العزيز، حتى أنها غلّقت الأبوابَ ووضعت نفسها بين يديه قائلة له بقول الله تعالى: ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ [يوسف: 23]. لكنه استعصمَ بإيمانه واحتمى بتقواه، فوقاه الله من الوقوع في الفحشاء حينما أراه برهانه، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: 24]. وبرهان ربه هنا ليس خارقاً من الخوارق التي وردت في بعضِ المرويات الإسرائيلية، وإنما هو الإيمانُ باللهِ الذي غذَّته الصلاة الخاشعة، مما دفعه لتذكر عظمة الله في تلك اللحظة، فذبلت واضمحلّت شهوةُ الجنسِ، ذلك أن تذكّر العبد لله في محراب الصلاة يمنحه تذكّر الله له في محراب الحياة، ومن ثم فإنه ينقذه من الوقوع في أَسْر النّزوات ويحميه من الانزلاق إلى مستنقع الشهوات، وهذا هو المقصود بقوله تعالى عن المقصد الأعظم للصلاة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: 45]. ولقد أدى استحضار يوسف- عليه السلام- لعظمة الله في تلك الأثناء إلى احتقار الشهوة والشعور بعظمة الجرم الذي يمكنُ أن يقع فيه لو انساق لإغواء امرأة العزيز وصويحباتها، لدرجة أنه حينما هُدِّد بالسجن إن لم يفعل ما تأمره به تلك المرأةُ الفاتنةُ قال بقول الله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ [يوسف: 33]. ونلاحظ هنا كيف أوصلته المفاضلة الواعية إلى القول: ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ﴾، وكانَ يمكن أن يقول: أخفّ عليّ أو أقلّ ضرراً أو أخف وزراً، بدلاً من ﴿أَحَبُّ إِلَيَّ﴾، بحكمِ أنه متضررٌ من الأمرين، لكن مقارنته ذُلّ المعصية بذلِّ السجن جعله يستصغر ذُلَّ السجن بل يحبه ما دامَ عزيزا بطاعةِ الله!

وهذه هي مهمة الصلاة عند كل الأنبياء، حتى أنَّ المدعوين رغم جهالاتهم قد أدركوا أن الصلاة تؤثر تأثيرا بالغا علَى الأنبياء والمرسلين، وقد أوردَ القرآنُ قولَ قومِ شعيبٍ له كما قال تعالى: ﴿قَالُوا يَاشُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾ [هود: 87]. ومن المؤكد أنهم قد قَالُوا ذلكَ بعدَ أن رأوا الطاقة الإصلاحية للصلاةِ وهي تتمددُ في حياة شعيب وتؤثر بقوة على أخلاقه وسلوكياته. ولأهمية الصلاة كعمود في صلاح الإنسان، فقد أمر الله جميع الأنبياء بالركوع والسجود له، كما قال تعالى لمحمد- عليه السلام- في أول سورة من سور القرآن: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ [العلق: 19]. وقالَ تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾

[الإنسان: 26]. وأمر أولياءَه بأن يتحصّنوا بالصلاة من وَسْوسات الشياطين وتسويلات الأنفس الأمّارة بالسوء، كما قال لمريم: ﴿يَامَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [آل عمران: 43]. وقد ربّى الله موسى واصطنعه على عينه، كما قال تعالى: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ [طه: 41]. فإن ذلك يعني أنه تعهّده بالرعاية والحفظ من كل صور الفساد، من خلال تحصينه بقيم الصلاح التي حبّبها الله إليه وزيّنها في قلبه، ولأنه قد تربى في بيت فرعون فلا بد أن هذا التحبيب الفطري قد رسخ في سجاياه كلما رأى الظلم والفساد ينبعثان من سلوكيات فرعون وبطانته، والعاقل يتعلمُ من الأشرار ربما أكثر مما يتعلم من الأخيار؛ إذ كلما رأى منهم ما تستقبحه فطرته ويستهجنه عقلُه، انتهى عنه؛ ومن ذلك أن امرأة فرعون حين اشتدَّ طغيانُ فرعون تمسكت بإيمانها، واتَّخَذَتْ موسى- عليه السلام- ولدًا لها وربَّته في قصرها، وكانت بذور الإيمان والصلاح كامنة في أعماق نفسها، فلما أظهر الله تعالى نبوة موسى- عليه السلام- وانكشف لها نور الحق، استجابت فطرتها السليمة لنداء الإيمان، وتجلت معاني اليقين والثبات في شخصيتها، إذ توجهت إلى ربها بهذا الدعاء الخالد ، بقول الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [التحريم: 11]. وبلغ من شدة صلاحها أنها دعت أن ينجيها اللهُ من فرعونَ وبطانته في الدنيا، وأَنْ يمنحها بيتًا في جوارِ اللهِ في الآخرة. ولأنَّ عملَ الصالحاتِ يقترنُ بالابتلاءاتِ فقد ربَّى الله أنبياءه بالمحنِ والابتلاءات التي محّصَت نفوسهم وأنضجت عقولهم، ومنحتهم الدرايةَ والخبرةَ التي لا توجدُ في العلوم والمعارف. ولو عدنا إلى يوسف- عليه السلام- لوجدنا كيفَ أعدَّه الله بالمحنِ والابتلاءات، ومما يُرينا دورَ المحن في بناء الشخصية القيادية والتأهل للتمكين قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ [يوسف: 21]. فقد وردت هذه الجملة ضمن الآية 21 من سورة يوسف، وهي الآية التي تتحدث عن شراء العزيز ليوسف ووصيَّته لزوجته بأن تعتني به رجاءَ أن ينفعهم أو يتخذوه ولدًا، وكأنَّ يوسف بولوجه لبابِ المحنة قد دخل طَور التمكين أو كأنه قد وصلَ إليه وحصلَ عليه، من باب أن النتائج تُعرف من خلالِ نوعية الأسباب.

3. التسلُّح بأسباب القوة:

القوة من المقومات الأساسية للشخصية القيادية الناجحة، غير أن مفهومَها لا يقتصرُ على القوةِ المادية فحسبُ، بل يشملُ أبعادًا متعددة تتكاملُ فيما بينها لتحقيقِ الفاعلية والتأثير، فالقائدُ يحتاجُ إلى قوة الإرادة والإيمان والمبادئ التي تمنحه الثباتَ على الحقّ، وقوة العلم والمعرفة التي تمكنه من حسنِ الفهم واتخاذ القرار، وقوة الشخصية التي تعينه على مواجهة التحديات وإدارة الأزمات، إضافة إلى القوة التنظيمية والإدارية التي تساعده على توجيه الجهود وتحقيق الأهداف. ومن ثم فإنَّ التسلحَ بأسبابِ القوةِ بمختلفِ صورها يمثلُ ركيزةً أساسية في بناء القيادة الراشدة القادرة على تحقيقِ الإنجاز وحفظِ المصالح ومواجهة التحديات المتجددة، والقوة التي تحتاجُها الشخصية القيادية ذات أبعاد ومظاهر متعددة، وأهمها:

– قوة الإرادة:

إن أول أبعاد القوة في شخصية القائد هو قوة الإرادة، ويخبرنا القرآن أن أبا البشر آدم- عليه السلام- قد خسر نعيم الجنة بسبب أمرين وردا في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ [طه: 115]. بمعنى أن ضعفَ الإرادة هو أحَدُ الأمرين اللذينِ خسر آدم مكانته الفردوسية، وكأن الله يقول لأبناء آدم: من أراد الجنة فإن عليه التسلح بقوة التذكّر وقوة العزيمة، ولا سيما أن الإنسان سيواجه عدوا ذا عزيمة قوية وهو إبليس الذي قال بعد أن غضب الله عليه وطرده من الجنة، كما قال تعالى: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: 16]. وتتضح عزيمة إبليس وتصميمه من أمور عدة، أولها: استخدام لام التوكيد، ثانيها: استعمال فعل (القعود) الذي يفيد طول زمن الفعل بعكس فعل (الجلوس) الذي يستغرق وقتاً قصيرا، ثالثها: حذف حرف الجر (على) الذي يفترض أن يسبق كلمة (صراطك) وانتصابه بالفعل مما يدل على الديمومة وملازمة الإغواء وكأنه قام مقام الصراط.

– قوة المشيئة:

ومعناها أن ينحاز المرء إلى قيمة الحرية بصورة مطلقة، فالعبيدُ لا يمكنُ أن يكونوا قَادةً أو أن يصنعوا فاعلية ويتركوا تأثيرًا، وربما كان من حِكَم الله في تربية موسى داخل بيت فرعون أن ينشأ على الحرية ويتربّى على الإباء، فقد اتخذته امرأةُ فرعون ابنًا لها وتربَّى علَى أساس أنه أمير، وكان يُعرفُ في أوساط الناس بابنِ فرعون، ولو تربَّى وسط بني إسرائيل الذين كانوا يعتاشون الفقر ويقتاتون الذل وكانوا يتسربلون بالمهانةِ، ما وصل إلى ما وصل إليه من قوة وشجاعة وإباء، وقد رأينا كيف ظل جيل بني إسرائيل الذي تربى تحت نير الاستعباد يعاني من آثار العبودية وتملأه المخاوف، إذ رغم مشاهدتهم للمعجزات والخوارق التي جرت على يد موسى إلا أن خوفهم من فرعون وجيشه لم يبارح قلوبهم، ولذلكَ فقد أتعبوا موسى وظلوا يطلبون منه أن يدعو الله بأن يمنحهم كل أسباب الحياة من دون أن يبذلوا أي جهد ذهني أو عضلي، وعصوا أوامره مرات عدة، ومنها أمره لهم بدخول الأرض المقدسة لكنهم اعتذروا بأن فيها قوما جبّارين، فكتب الله عليهم التيه أربعين عاماً ولم يدخل أحد منهم الأرض المقدسة إلا يوشع بن نون الذي كان فتى موسى وتلميذه الأقرب إليه، وأبقاه الله لكي يكون همزة وصل بين جيل العبودية والتيه وبين جيل الحرية والتمكين، بعد أن مات موسى وهارون أيضا في هذه الفترة، وكأن الله يقول في هذه القصة بأن من تَربّوا في حظائر الاستعباد لا يصلحون لشيء فضلاً عن أن يصبحوا قادة وفاتحين!

– قوة الطموح والآمال:

يمتلكُ الإنسانُ طاقةً هائلةً إن أحسن استثمارها، ويخبرنا التأريخ بأن الطامحين وأصحاب الآمال العريضة يحققونَ نجاحاتٍ لا يصلُ إليها غيرهم، وهذا ما يتبدى لنا من قِصصِ الأنبياء في القرآن الكريم، فلقد كانَ يوسفُ طامِحاً وصاحبُ آمالٍ عريضةٍ، وكان طموحه هو الذي جعله يرى تلك الرؤيا التي حكاهَا لأبيه، وطلبَ منه أبوه بأن لا يَحكيها لإخوته، لعلمه بأنهم يعرفونَ ما تشير إليه هذه الرؤيا من ترقّي يوسف وحسدهم له، وأنهم لذلك سيندفعون لكي يحيكوا له المكائد ويحبكوا له المؤامرات، فقد قال له بقول الله تعالى: ﴿قَالَ يَابُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ [يوسف: 5]. ومِمَا يؤكدُ هذا الطموح اليوسفي أنه حِيْنَمَا لاحَتْ له فرصة للقيادة

استَسْنَحها على الفور ولم يُفرّط بها، حيثُ قال للملك كما قال الله تعالى: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: 55]. ولأنه جادٌ فيما طلبَ فقد قدَّم الطلب مرفقاً إياه بالأهلية التي تتجسدُ في صفاتٍ عديدة يحتويها عنوانا الحفظ والعلم، فالحفظُ يتضمّن الأمانة، والعلم يُثمر القوة. وهذا الطموحُ نفسُه هو الذي جعل سليمان- عليه السلام- يدعو ربه قائلاً كما قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [ص: 35]. وبالتأكيد فإنه لم يدعُ الله وهو فارغ العقل من المعارف وفارغ اليدين من المهارات، بل كان منهمكا في تحقيق طموحاته قبل أن يدعو وبعد أن دعَا، فالدُّعاءُ عِندَ الأنبياء والصالحين إنما هو إعلان عن إخلاصهم لله وتبرّيهم من الشرك الخفي للأسباب، وذلكَ بعد أن يأخذوا بها غاية مستطاعهم، ويستمر الأخذ بالأسباب بعدَ الدعاء لاستمطار سحائب العطاء الرباني.

– قوة الصبر والجلَد:

إن قوةَ الصبر هي قرينة على قوة الإرادة وثمرتها، فحينما أراد موسى أن يكون أعلم من في الأرض تَسلّح بالعزيمة القوية والتي يُعبّر عنها قوله وهو ذاهبٌ للتتلمذ على يد العبد الصالح، كما قال تعالى: ﴿لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ [الكهف: 60]. ولأنهُ بهذهِ العزيمةِ فقد امتلكَ صَبْراً قوياً، فحينمَا سألَ العبدَ الصالحَ إن كان بإمكانه اتباعه حتى يتعلم منه في الطبيعة والواقع وأجابه بأنه لن يستطيعَ معه صبراً، قال له موسى، كما قال الله تعالى: ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ [الكهف: 69]. إن نشأة موسى في قلب الدَّوَّامة الفرعونية وفي أكناف المصاعب المتنوعة، هي التي مكّنته من امتلاكِ القوة التي جعلته يقفُ أمام طغيان فرعون ويتحَمَّل طبائعَ بني إسرائيل المادية السقيمة، والتي تميلُ إلى تجسيدِ كل شيءٍ، ولا تتوقف عن الالتواء والتحايل على تعاليم السماء وتحريفها أو تأويلها بصورة ما أنزل الله بها من سلطان، ولا تترددُ عن إيذاء أنبيائها ومصلحيها بألسنتها وأيديها وسيوفها، وهذا ما فعله بنو إسرائيل مع موسى حتى أنَّ الإمام البخاري أخرج في صحيحه أن النبيَّ- صلَّى الله عليه وسلم- قال: «رَحِمَ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ» (البخاري ، برقم: 3150) ، فقد كان صلى الله عليه وسلم يُسلّي

نفسه حينما يتعرضُ للأذى بإطلاقِ هذا القول. وقد رفع هذا الصبرُ موسى درجات عالية في هرَم النّبوّة حتى أصبح واحدًا من أولي العزم من الرسل، الذين هم أفضل الرسل، بعد أن نجح خمستُهم في ارتقاء عزائم الصبر، وهم الرسل الذين خصّهم الله تعالى بمزيد من الثبات والعزم وقوة الاحتمال، حتى أمر نبيَّه محمدًا -صلى الله عليه وسلم- أن يقتدي بهم ويتأسى بصبرهم في مواجهة الشدائد وتحمّل أعباء الدعوة، إذ قال له تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [الأحقاف: 35].

– قوة الجسم:

لا شَكَّ بأنَّ التكاليفَ المطلوبةَ من القائد هِيَ أثقالٌ موضوعة علَى كاهلِه وتؤثر على صحته أبلغ تأثير، ومن ثَمَّ فإنه بحاجة إلى العناية بجسمه حتى يكون مفتولاً قويا، وقادراً على تحمل الأعباء الكبار ومواجهة الأخطار الجسام. وأورد لنا القرآن نموذج القائد طالوت الذي كان من عامة بني إسرائيل لكنه حظي بوفرة علمية وقوة بدنية، فطلب بنو إسرائيل من نبيهم أن يبعث لهم ملكا يقاتلون تحت رايته ضد أعدائهم، فأخبرهم بأن الله قد بعث عليهم طالوت ملكاً، لكنهم كعادتهم في العصيان والكنود، اعترضوا على شخصه وقالوا بأنهم أحق منه بالمُلك بحُجّة أنه لم يُؤتَ سعة من المال، عند ذلك قال لهم نبيهم كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ [البقرة: 247]. وبهذه الخماسية: قوة العزيمة والإرادة، وقوة المشيئة والحرية، وقوة الطموح والرجاء، وقوة الصبر والتحمل، وقوة الجسم والمادة، يكون المرء قد امتلك واحدا من مؤهلات القيادة، ولكن مهما كانت قوة المرء فإنه يظل ضعيفا إن استغنى بنفسه، ولذلك لا بد له من الاستفادة من طاقات ومواهب ومعارف وخبرات غيره، وهذا ما سنعرفه في الفقرة الآتية.

4. الاستفادة من خبرات الآخرين:

من يكتفي بنفسه لا يمكن أن يكون قائدا ناجحاً ولو كان ذا مواهب عديدة، فإن مواهبه هذه ستُدفَن في مقبرة غروره، ولكن القائد الناجح هو من يسعى للبحث عن نقاط القوة ونواحي

التفوق عند غيره، وحينما نقرأ قصص الأنبياء والمصلحين سنجد أنهم قد استفادوا من غيرهم على المستويين الرأسي والأفقي:

– الاستفادة الرأسية:

ونقصد بها الاستفادة من خبرات السابقين، فلقد أعد الله نبيه محمدا- صلى الله عليه وسلم- لكي يكون أعظم الأنبياء والقادة في التأريخ البشري، من خلال تعهده في أصلاب الرجال وأرحام النساء، وتأديبه بالحوادث والأحداث منذ ولادته حتى بعثته، ورغم ذلك فقد أمره تعالى بالاستفادة من خبرات وهدايات الذين سبقوه، فقال له بعد أن أورد له كثيرا من القصص والمواقف: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: 90]. ولم يكتفِ القرآنُ في هذه الجملة بالدعوةِ للاقتداءِ بالسابقينَ، بل وجَّههُ للتركيزِ على جوهرِ الهداية: ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ وليس على أشخاص المهتدين، ولذلك قال تعالى في موضع آخر: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: 111]. وأولوا الألباب هم الذين يحسنون استخراج العبرة والفائدة ويتركون ما دون ذلك، فأوراق الشجر وأشواكها وعيدانها لا تؤكل وإنما تُؤكل ثمارها. وفي هذا السبيل استفاد الخليل إبراهيم من خبراتِ من سبقه من الأنبياء والرسل، واستفاد ابناهُ إسماعيل وإسحاق منه، واستفاد يعقوب من أبيه إسحاق، واستفاد يوسف من أبيه يعقوب، واستفاد عيسى من خبرات من سبقوه، وكذلك فعل محمد- صلى الله عليه وسلم- ولا سيما وأن كتابَهُ قد هيمنَ على الكتبِ السماوية السابقة باستيعابهِ للأبعادِ الإصلاحيةِ الثاوية فيها كلِّهَا.

– الاستفادةُ الأفقيةُ:

نقصدُ بها الاستفادةَ من خبراتِ المعاصرينَ سواءٌ كانوا قريبينَ أو بعيدينَ، ولقد وجَّه الله نبيه محمدا للاستفادة من هذا النوع من الخبرة، فقال تعالى: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: 14]. فالخبرة هي معرفة الدقائق الخَفية بعد خوض غمار التجارب، فكأن الخبرة دقيق خرج من تحت مَطْحَن التجارب، وكأن صاحب الخبرة قد أعطى المستفيد عسلاً من دون أن يعاني من لَسْع أسراب النحل، أو وهبه ثمراً من دونِ أن يتألم من وخْز أشواك الشجر، هذا بجانب توفير الجهد

والوقت؛ ولهذا فقد استخدمَ القرآنَ كلمة ﴿يُنبّئكَ﴾ التي تفيد القَطعَ وَعَدَمَ الشَّكِ، ومنه جاء مصطلح النبي لأنه ينقلُ النَّاسَ من دياجيرِ الأوهامِ والشكوك إلى أنوار الإيمان واليقين. وقد استفاد الأنبياءُ من علومِ وخبرات معاصريهم ولو كانوا دونهم في المكانةِ، حَيْثُ رأينا كيفَ تعلَّم موسى وهو نبي مرسل بل وكليم الله على يد عبدٍ صالحٍ ليسَ له من أنوارِ النبوةِ شيءٌ علَى القولِ الراجح، ويُشبه ذلك ما تعلّمه زكريا- عليه السلام- وهو نبيٌ من امرأةٍ صالحة وهي مريم العذراء حينما وجَدَ عندها فاكهةَ الصيفِ في الشتاء والعكس، وهنالكَ دعا زكريا ربه بأن يهبه غُلامًا نافعًا رغم أن امرأته كانت عاقرا وكان قد بلغ من العمر عتيا ووصل إلى خريف العمر. ورأينا كيف تعلّم داوود من ابنه سليمان، ثم كيفَ أحاطَ هدهدٌ بما لم يُحط به أعظم ملوك الأرض وأحد رسل السماء، وهو لعمري درس بليغ في وجوبِ التتلمذ على كل من يملك حكمة أو نفعاً والاستفادة من كل أحد بل ومن كل شيء. ولا شك بأنَّ الاستفادةَ من الآخر تقتضي الاستفادة من منجزات الحضارة الحديثة التي تمتلك كثيرا من الخبرات النافعة ولا سيما في مجال الوسائل والأساليب النافعة للأفراد والمجتمعات والدول، والحكمة ضالة المؤمن أنّى وجدها أخذها. والخبرة في الرؤية الإسلامية لا تكونُ حكمةً إلا إذا دعت الحاجة الماسة لها، وإذا أمكن وضعها في مكان مناسب ضمن المنظومة الكلية للثقافة الإسلامية، مما يستدعي العمل الواعي من أجل تخليص الخبرات المقتبسة من آثار الثقافة التي تربَّت في أكنافها.

5. امتلاك ثقافة ارتياد المستقبل:

يُعدّ الزمن في الفكر القيادي سلسلة شديدة الترابط، فالحاضر ينحدر من الماضي ولا بد أن يتأثر به، والمستقبل يتكون في تربة الحاضر بما فيه من خصائص إيجابية أو سلبية، ولا يمكن للمرء أن يكون قياديًا ما لم يمتلك ثقافة التعامل الواعي مع الزمن ولا سيما المستقبل، ويقتضي ارتياد الزمن بالكفاءة المطلوبة أمورا عديدة، أهمها أمران:

– الاعتبار من الماضي وعدم الالتفات إليه:

لقد عرفنا أهمية الاعتبار الواعي من الماضي، أما الالتفات المَنهي عنه فهو الذي يستغرق الأوقات والجهود على طريقة الماضَوِيِّين الذين يُعوضون فقرهم في الحاضر عبر التغني بالماضي، فإن العقل إذا توقف عن التفكير الفاعل في بناء الحاضر تتحرّك الذاكرة في استدعاء أمجاد الماضي للتعويض عن النقص الحاصل، كنوع من الحيل النفسية التي تحفظ لأصحابها قدرا من التوازن، لكنه التوازن المغشوش. ولنتأمّل قوله تعالى للوط- عليه السلام- وأهله حينما أمرهم بالخروج من قرى سدوم: ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ [الحجر: 65]. فقد جمع هذا الأمر بين الحذر من التعلق بالماضي والانشغال بمظاهر الهلاك، وبين ضرورة التوجه نحو المستقبل والمضي في طريق النجاة، دون استنزاف الجهد في الالتفات إلى ما فات. ومن ثَمّ فإن القيادة الناجحة تستفيد من دروس الماضي وعِبَرِه، لكنها لا تتوقف عنده، بل توظف خبراته للانطلاق بثبات نحو المستقبل وتحقيق الأهداف المرسومة، وتوجيه الطاقة الذهنية والعملية نحو الهدف المستقبلي الذي ينبغي السعي إلى تحقيقه والبلوغ فيه إلى المقاصد المنشودة.

– استشراف المستقبل:

كيف يمكن للمرء أن يصبحَ قائدًا إذا كان المستقبل بالنسبة له عَمًى أو أضغاثَ أحلام؟ إنه يحتاج إلى امتلاك كافة المعارف والخبرات التي تؤهله لارتياد المستقبل، بامتلاك العلوم والمهارات والخبرات التي تُمكّنه من استشراف النتائج التي يمكن لها أن تتحقق في ضوء المعطيات القائمة، والتنبّؤ بالعواقب المحتملَة، ومحاصرة المخاطر المُحدقة في الطريق، والاستعداد لأسوأ الاحتمالات، وامتلاك البدائل، والتهيُّؤ لأي مفاجآت لا تخطر على البال. والاستشراف هو الوسيلة المثلى في الاستعداد للبناء بالوسائل المناسبة ومجابهة المخاطر أو تجفيف المنابع قبل أن تبدأ بالضَّخّ. وقد قرأنا في القصص القرآني دعاءً مستقبلياً للخليل إبراهيم- عليه السلام- الذي دعا لأبنائه وأحفاده الذين لم يرهم وإنما تخيَّلهم من وراءِ حُجُبِ الغيبِ وهم يَمْلَؤُونَ شعاب مكة، تلك البقعة التي وصفها الله بقوله: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ [إبراهيم: 37] ، فلقد قال إبراهيم كما قال تعالى: ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ

﴿لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: 37]. ونلاحظ أن إبراهيم يريد ذلك الوادي الخالي من الزرع واحةً تمتلئ بمشاعر الحُبّ والود وتَزخر بعواطف الرحمة والشفقة، حيث اختزل شخصيات الناس في الأفئدة: ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً﴾ كِناية عن هذا الأمر، ثم دَعا لهؤلاءِ في مقام آخر، فقال: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ [إبراهيم: 40]. فتخيَّلَ- عليه السلام- مكة في صورة واحة جميلة تمتلئ بالطيبات وتجمع بين خيري الدنيا والآخرة. ومن صور استشعار المخاطر المستقبلية، نتيجة المعرفة الدقيقة بالحاضر ومن فيه، قولُه تعالى على لسان يعقوب: ﴿قَالَ يَابُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [يوسف: 5]. فقد عرف أبناءَه وأدرك أن الحسد يسكن قلوبهم. وبالنسبة ليوسف فإن الرؤيا التي رآها الملك عن البقر السِّمان التي يأكلهن سبعٌ عجاف، قد فسرها يوسف بأن سبع سنين عجاف ستصيب مصر بمجاعة رهيبة، ولذلك فإنه حينما قال له الملك كما قال الله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ [يوسف: 54]. تاركاً الحرية له ليختار ما يشاءُ من الأعمالِ، قال له يوسف كما قال الله تعالى: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: 55]. وفورَ استلامِه لعمله شرع بالاستعدادِ من أجل مواجهة مخاطر الجفاف والمجاعة، من خلال عدد من الإجراءات العملية التي وردت عناوينها في إحدى حلقات سورة يوسف نفسِها. وربما كان من صور التنبّؤ بالمستقبل ما ذكره القرآن على لسان عيسى- عليه السلام- في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: 52]. فإن الفعل ﴿أَحَسَّ﴾ يشير إلى هذا الاستشراف الذي نتج عن ذكاء عيسى العقلي وشفافيته الروحية العالية، وعن حسن قراءته للمؤشرات الخفية قبل أن تظهر وتصبح واقعاً لا يملك أحدٌ دفعَه أو الانسلالَ منه، ويقصد بالكفر هنا التكذيب والأذية ولذلك فقد عمل على اصطفاء أقرب الناس إليه حتى يكونوا درعا له من الأذى وليتدرَّع الخُلَّص ببعضهم بعضًا.

6. المراجعة وتصحيح المسار:

كما أن العالِم حقاً هو الذي يعلم أنه لا يعلم شيئا أو أن علمه قليل جدا مقارنة بخارطة العلم غير المتناهية وبما ينبغي أن يعلمه؛ فإن السائر في طريق العظمة هو الذي يدرك أنه ينقصه

الكثير لكي يكون عظيماً كما يجب، ومن ثم فإن السائر في طريق الترقي القيادي لا يشعر بالرضى عما وصل إليه، ويحرص دائما على مراجعة تصوراته وتصحيح تصرفاته في طريق التقدم نحو الأفضل. وعلى سبيل المثال، هذا نبي الله هود قد لفت أنظار قومه إلى وجوب التطهر من ذنوبهم وخطاياهم عبر الاستغفار والتوبة؛ حتى يتأهلوا لنيل عطايا الله ويزيدهم قوة إلى قوتهم، قال تعالى: ﴿وَيَاقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ [هود: 52]. والاستغفار والتوبة يعادلان ما نسميه في عصرنا بالمراجعة والنقد الذاتي، حيث يتم اكتشاف نقاط الضعف لمعالجتها، ولنلاحظ جملة: ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾ فإن الاستغفارَ بمعناه العريض والتوبة بدائرتها الواسعة يتكفلانِ بتعظيمِ نقاطِ القوةِ ومضاعفتها. ولقد كانَ جميعُ الرسل يستغفرون الله ويتوبون إليه من أخطاء اجتهادية أو من ذنوب صغيرة عملوها دون قصد، وهذا نوح -عليه السلام- قد نادى ربه كما قال تعالى: ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ [هود: 45]. حينما حلّ الطوفان وبدأ الناس بالغرق، لكن الله أخبره بأنه ليس من أهله لأن كفره ورفضه ركوب السفينة قد أخرجه من دائرة أهله، ففزع إلى الله بالتوبة من جهله، ومما قاله في هذا الشأن، قال تعالى: ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [هود: 47]. وهذا كليم الله موسى يقول كما قال الله تعالى: ﴿أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ [الأعراف: 155]. وحينمَا طَلبَ موسى أن يرى الله جهرة وتجلَّى اللهُ على الجبلِ ليريه أن قوته لا تُمكنه من رؤيته، أصابته صعقة التجَلّي الرحماني، وقالَ الله عنه: ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: 143]. ويُعلمنا موسَى ذاتُه أن من أخطأ لا يكفي أن يتوب من الخطأ الذي وقع فيه، ولكن يجب عليه تصحيح المسار الذي أوقعه فيه الخطأ وتجفيف المنابع التي تسبّبت بإيقاعه في الخطأ، قال تعالى عن موسى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصص: 17]. أي لن يكون نصيرا للمجرمين، واستخدم حرف النفي (لن) الذي يفيد التأكيد، وقد جاء ذلك بعد أن وكز القبطي الذي اعتدى على الإسرائيلي لكنه من فرط قوته تسبب بقتله من دون قصد، فتاب إلى الله، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [القصص: 16]. أي أنَّ التوبةَ قد أعقبها تصحيحُ المسار، وهذا ما ينبغي أن يكون عليه من يسيرون في طريق التأهل للقيادة. ولقد أمر الله

حبيبَه محمدًا بأن يستغفر لذنبه في مواضع عديدة من القرآن، ومنها قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [محمد: 19]. وقوله: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [غافر: 55]. وقوله: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: 3]. وهذه أمثلةٌ ثلاثةٌ متنوعةٌ من المواضع التي أُمر- صلى الله عليه وسلم- بأن يستغفر الله فيها، بمعنى أن المرءَ ينبغي أن يكونَ مراقِبا لأغوار نفسه، ومحاسِباً لما اقترفته جوارحُهُ، ومصححاً لمساره على الدوام، ولو لم يكن الأمرُ بهذه الصعوبة والخطورة ما أمرنا اللهُ أن ندعوه في كل ركعة من كل صلاة قائلين: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: 6]. وإذا كانَ هذا حالُ ثلاثةٍ من أولي العزم من الرسل الذين هم أكثر الرسل كمالاً، والرسل بدَورهم هم أكثر البشر عصمةً، فكيف بغيرهم من الناس؟! وكيفَ بمن يريد أن يعتلي سدة القيادة التي هي مقام للقدوة الحسنة في الأساس؟!

الخاتمة وأهم النتائج والتوصيات:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، فقدْ مَخَر الباحثُ عباب الآيات ذات الصلة بالقيادة في القرآن الكريم، وذلك عَبرَ قاربِ التدبر ومجاديفِ التأمل، وتوصل إلى النتائج الآتية:

أولاً: للقيادة في القرآن مفهوم يدور حول الالتزام الأخلاقي الداخلي والإلزام القانوني الخارجي، وتتوافر في قصصه عدد من النماذج أهمها:

1 – النموذج التسلطي العاتي الذي يمثله فرعون، حينما تأله على الناس وفرض عليهم نموذجا من التسيّد الهرمي الذي يقف هو على رأسه بينما يقف بطانته وجنوده على رؤوس الناس، وينطلق من غرور شديد ومن شعور عميق بالاستعلاء والفوقية، ومن امتلاك تام للبلاد وما فيها من بشر وأنهار وإمكانات وطاقات، واستخدام للقوة ضد كل من يختلف معهم بل من يختلف عنهم، وصولا إلى التسلط على القلوب، ومعاقرة لأخلاق الفساد وممارسة للكذب الصراح وخداع للشعب الذي يتجبرون عليه ويخافون منه في ذات الوقت، ويذهبون لتفريقه وتمزيقه بشتى الوسائل، واستخدام كثيف للإعلام المضلل الذي يستخف بعقول الناس، مع توسل بالسجون والقمع الشديد.

2 – النموذج المتعقل والذي يبرز من أثناء قصة الملكة بلقيس ملكة سبأ رغم أنها لم تكن مسلمة، إذ يبرز احترامها للآخر الذي يختلف عنها أو يختلف معها، وتقديرها لقومها واستشارتها لهم في اتخاذ القرارات، وفقهها العميق بطبائع الملوك، وامتلاكها لشخصية محبوبة عند رعيتها، وذكائها المتقد، وحكمتها البالغة.

3 – النموذج الإصلاحي الذي تجسد في قصة موسى- عليه السلام- ويظهر من خلال ملامح عديدة أهمها: الفاعلية القوية التي برزت بصورة إيجابية في عدد من المواقف، والغضب المحمود من انحرافات قومه وسعيه بكل قوة لإصلاح سرائرهم وتقويم مسيرتهم، والاعتراف بمواهب غيره وسعيه للاستفادة منها في مشروعه الإصلاحي التغييري، وامتلاكه لبوصلة الحكمة، وتفريقه الواضح بين الثوابت والمتغيرات، والتخلق بأخلاق طلاب العلم والكمال، وصرامة الرقابة على النفس.

4 – النموذج الراشد الذي يتجسد في قصة نبي الله سليمان الذي منحه الله مُلكًا لم يمنحه لغيره، لكنه نجح في هذا الابتلاء بفضل الرشد العقلي والسلوكي الذي اتسم به، ويبرز من خلال: امتلاكه لمقاليد العلوم والمواهب، والتعبّد لله في محراب الحياة كلها، وامتطاء صهوة الشكر، والكياسة والدهاء، والتحلي بمشاعر المسؤولية، وتفعيل قدرات رعيته والاستفادة منها في تعميق أسس التمكين وتقوية جُدُرِهِ المتعددة.

ثانيا: وردت في القصة القرآنية سمات عديدة للقائد، وأهمها هي:

1 – الإحاطةُ بفقهي الواجبِ الشرعي والواقع الذي تتنزل فيه تعاليم السماء.

2 – التحلي بكافة الأخلاق الحسنة التي تلج بأصحابها إلى قلوب الرعية وتجعلهم يطيعون قادتهم رغبة لا رهبة في المقام الأول، من صدق وأمانة ورحمة ووفاء وعفة وشفافية وهشاشة وبشاشة.

3 – التحلي بالروح الإيجابية والانطباع بمشاعر المسؤولية، بعيدًا عن المنهج الذرائعي الذي يتعلل بالظروف ويتحجج بالأقدار.

4 – إشراك القاعدة الشعبية في اتخاذ القرارات التي تهمها وعدم الانفراد في تقرير مصائر الناس.

5 – امتلاكُ مقاليدِ القوة المادية والمعنوية وصلابة الإرادة وعدم تخلخل العزيمة في أي ظرف كان.

6 – الصبرُ على الشدائدِ والثباتِ على حمل الحق وتحمل التبعات بكل رضى وعدم تردد.

7 – الفصاحة البيانية والقدرة على المجادلة الحسنة والإقناع العقلاني الجميل.

ثالثا: للقائد في القصة القرآنية مهارات عديدة تساعده على القيام بمهامه، وفي المقدمة منها:

1 – الحكمة وحسن التصرف والذي يظهر من خلال: تقديم المصلحة على الحق في بعض المواضع؛ من خلال: امتلاك فقه الموازنات والخبرة بالواقع والوقائع، وتضييق دائرة الاتهام والعقاب إلى أضيق دائرة ممكنة، ومراعاة تخصصات من يتعامل معهم وإدراك الفروق الفردية بينهم في الميول والقدرات الذهنية والعضلية.

2 – مهارة تحسين الأعمال وتجويد المنجزات، من خلال الحرص الدائم على بلوغ الإحسان في سائر الظروف، وإحسان اختيار البطانة والمساعدين، وإحسان إعداد اللوائح التي تنظم الأعمال على الوجه الأمثل، وإحسان تطوير الوسائل التي ترتقي بالأداء.

3 – مهارات الاقتراب من الناس والتعامل معهم بإحسان، وذلك باكتساب مهارات التبسط والانسلاك في أوساطهم، وإتقان مهارة الإصغاء لما يقولونه، وتفعيل مبدأ الثواب والعقاب بينهم بصورة عادلة، وتقدم صفوف التضحية وصناعة القدوة، والتيسير على الناس بتكليفهم وفق قدراتهم ومستطاعاتهم.

4 – مهارة التبشير وزراعة الأمل والحيلولة دون تسللِ اليأسِ إلى قلوب الأتباع والجنود.

5 – مهارات حفظ الأمن، وما يقتضي ذلك من حذر ونباهة وسرية وإخلاص في حماية حقوق الناس وحرياتهم.

6 – مهارة النقد الذاتي، بمراقبة الذات بصورة صارمة، ومراجعة المواقف وتقويم الاعوجاجات بكل صرامة، والإقلاع الفوري عن كل تقصير أو قصور.

7 – مهارة تركيز الطاقة المحدودة على المضغة التي يراد تغيير المجتمع من خلالها وعدم تبديد الطاقات من دون خطة تدرك فقه الموازنات وتسير وفق ترتيب منطقي للأولويات.

رابعاً: هناك قواعد عديدة يمكن الانطلاق منها في صناعة القيادات المنشودة، وأهم هذه القواعد:

1 – إشاعة مبدأ التعلم الدائم والاستزادة من العلم، عبر القراءة المستمرة لآيات الله الشاملة في الأنفس والآفاق ومن باب أولى تدبر آيات القرآن الكريم، فهي التي تهدي للتي هي أقوم في كل الظروف والأحوال.

2 – الاحتماء بدروع الصلاح الواردة في القرآن الكريم، سواء كان الصلاح ذاتيا أو متعديا، وسواء اختص بالشؤون الدنيوية أو بالشؤون الأخروية، فإنَّ مشيئة الله قد قضت بأن وراثة الأرض من نصيب الصالحين لعمارتها.

3 – التسلح بكافة أسباب القوة، وأهمها: قوة الإرادة والعزيمة، قوة المشيئة والاختيار، قوة الطموح والآمال، قوة الصبر والجَلَد، قوة الجسم.

4 – الاستفادة من كافة الخبرات التي يملكها كل من يمكن الاستفادة منهم، وذلك في جانبي الاستفادة الأفقية والاستفادة الرأسية.

5 – امتلاك ثقافة ارتياد المستقبل، وذلك من خلال: الاعتبار من الماضي دون الالتفات إليه والانشغال بقضاياه، والاستشراف الأمثل للمستقبل.

6 – المراجعة الدائمة وعدم التردد في تصحيح المسار ولو كان الانحراف بسيطا.

أهم التوصيات:

1. تدبير الحياة وفق منهج القرآن بمزيد من التدبر لآيات القرآن عامة وقصص القرآن خاصة، فهو يحتوي على منجم من الهدايات الصالحة لوضعها ضمن منظومة متكاملة لاستئناف النهوض الحضاري
2. تعميق الدراسات القرآنية في موضوع القيادة من خلال استقراء القصص القرآني استقراءً موضوعياً يكشف عن القواعد الكلية والسنن الربانية في صناعة القادة، وتوجيه السلوك القيادي نحو العدل والرشد والإصلاح.
3. إدراج النماذج القيادية القرآنية في مناهج التربية والتعليم والتكوين القيادي، ولا سيما نماذج موسى وسليمان عليهما السلام، وملكة سبأ، مع بيان النموذج الفرعوني بوصفه مثالاً للتحذير من الاستبداد والتسلط والفساد السياسي والاجتماعي.
4. بناء برامج تدريبية لإعداد القيادات على ضوء القيم القرآنية، تجمع بين تزكية النفس، وتنمية الوعي بالمسؤولية، وترسيخ قيم الشورى، والعدل، والأمانة، والصبر، وحسن إدارة الناس والموارد.
5. العناية بمهارات القائد القرآني في الواقع المعاصر، مثل الحكمة، وفقه الموازنات، وحسن اتخاذ القرار، وإدارة الأزمات، والتواصل المؤثر، والنقد الذاتي، واستثمار الطاقات، بما يسهم في تجديد الأداء القيادي في المؤسسات الدعوية والتعليمية والاجتماعية.

6. ترسيخ مبدأ الشورى والمشاركة في صناعة القرار داخل المؤسسات والمجتمعات، والانتقال من النماذج الفردية المتسلطة إلى القيادة الراشدة التي تحترم الإنسان، وتستفيد من خبراته، وتراعي مصالحه، وتوازن بين الثوابت والمتغيرات.
7. تشجيع الباحثين على دراسة القيادة القرآنية دراسة مقارنة وتطبيقية تربط بين الهدي القرآني ونظريات القيادة الحديثة، مع إبراز تميز المنظور القرآني في الجمع بين البعد الإيماني، والأخلاقي، والعمراني، والواقعي في بناء القائد وصناعة المستقبل.

References

Abu al-Shaykh al-Isfahani, Abd Allah ibn Muhammad ibn Jafar al-Ansari. (1408 AH). Al-Azamah [The Greatness]. Edited by Rida Allah ibn Muhammad Idris al-Mubarakfuri. Riyadh: Dar al-Asimah, 1st ed.(1703/5) .

Al-Ayni, Badr al-Din Mahmud ibn Ahmad. Umdat al-Qari Sharh Sahih al-Bukhari [The Mainstay of the Reader: Commentary on Sahih al-Bukhari]. Beirut: Dar Ihya al-Turath al-Arabi.(218/12) .

Al-Bukhari, Muhammad ibn Ismail. (1409 AH/1989). Al-Adab al-Mufrad [The Book of Good Manners]. Edited by Muhammad Fuad Abd al-Baqi. Beirut: Dar al-Bashair al-Islamiyyah, 3rd ed. p. 104.

Al-Darimi, Muhammad ibn Hibban ibn Ahmad. Rawdat al-Uqala wa Nuzhat al-Fudala [The Garden of the Wise and the Delight of the Virtuous]. Edited by Muhammad Muhyi al-Din Abd al-Hamid. Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah. p. 38.

Al-Hakim al-Tirmidhi, Muhammad ibn Ali ibn al-Hasan. Nawadir al-Usul fi Ahadith al-Rasul [Rare Principles in the Hadiths of the Messenger]. Edited by Abd al-Rahman Umayrah. Beirut: Dar al-Jil.

Al-Qasimi, Muhammad Jamal al-Din. (1418 AH). Mahasin al-Tawil [The Beauties of Interpretation]. Edited by Muhammad Basil Uyun al-Sud. Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 1st ed.(491/7) .

Al-Sabuni, Muhammad Ali. (1417 AH/1997). Safwat al-Tafasir [The Choice Selections of Quranic Exegesis]. Cairo: Dar al-Sabuni, 1st ed.(399/2) .

Al-Sibki, Taj al-Din Abd al-Wahhab. (1411 AH/1991). Al-Ashbah wa al-Nazair [Similarities and Analogues]. Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 1st ed.(120/1) .

Al-Suyuti, Abd al-Rahman ibn Abi Bakr. Al-Durr al-Manthur fi al-Tafsir bi al-Mathur [The Scattered Pearls in Exegesis by Tradition]. Beirut: Dar al-Fikr.(285/6) .

Al-Tabarani, Sulayman ibn Ahmad ibn Ayyub. Al-Mujam al-Awsat [The Middle Lexicon]. Edited by Tariq ibn Awad Allah ibn Muhammad and Abd al-Muhsin ibn Ibrahim al-Husayni. Cairo: Dar al-Haramayn. (3/210), no. 2940.

Al-Tirmidhi, Muhammad ibn Isa. (1998). Sunan al-Tirmidhi. Edited by Bashshar Awwad Maruf. Beirut: Dar al-Gharb al-Islami.

Bahrak, Muhammad ibn Umar ibn Mubarak al-Himyari. (1419 AH). Hadaiq al-Anwar wa Matali al-Asrar fi Sirat al-Nabi al-Mukhtar [Gardens of Lights and Sources of Secrets in the Biography of the Chosen Prophet]. Edited by Muhammad Ghassan Nasuh Azqul. Jeddah: Dar al-Minhaj, 1st ed. p. 119.

Abu al-Suud, Muhammad ibn Muhammad ibn Mustafa al-Imadi. Irshad al-Aql al-Salim ila Mazaya al-Kitab al-Karim, known as Tafsir Abi al-Suud. Beirut: Dar Ihya al-Turath al-Arabi.

Ibn Abi Usamah, Abu Muhammad al-Harith ibn Muhammad al-Tamimi al-Baghdadi. (1413 AH/1992). Bughyat al-Bahith an Zawaid Musnad al-Harith [The Researcher's Aim Regarding the Additions to Musnad al-Harith]. Selected by Nur al-Din Ali ibn Abi Bakr al-Haythami. Edited by Husayn Ahmad

Salih al-Bakri. Madinah: Center for the Service of the Sunnah and Prophetic Biography, 1st ed . .(858/2)

Ibn Ashur, Muhammad al-Tahir ibn Muhammad al-Tahir. (1984). Al-Tahrir wa al-Tanwir [Liberation and Enlightenment]. Tunis: Al-Dar al-Tunisiyyah lil-Nashr.(105/26) .

Ibn Hajar al-Asqalani, Ahmad ibn Ali ibn Muhammad. Al-Ujab fi Bayan al-Asbab [The Marvelous Explanation of the Occasions of Revelation]. Edited by Abd al-Hakim Muhammad al-Anis. Saudi Arabia: Dar Ibn al-Jawzi.(1063/2) .

Ibn Hisham. Al-Sirah al-Nabawiyyah [The Prophetic Biography]. Edited by Taha Abd al-Rauf Sad. United Printing Company.

Ibn Kathir, Abu al-Fida Ismail ibn Umar. (1395 AH/1976). Al-Sirah al-Nabawiyyah [The Prophetic Biography]. Edited by Mustafa Abd al-Wahid. Beirut: Dar al-Marifah.

Ibn Kathir, Abu al-Fida Ismail ibn Umar. (1420 AH/1999). Tafsir al-Quran al-Azim [Interpretation of the Great Quran]. Edited by Sami ibn Muhammad Salamah. Riyadh: Dar Taybah, 2nd ed.(405/1) .

Ibn Uthaymin, Muhammad ibn Salih. (1423 AH). Tafsir al-Fatihah wa al-Baqarah [Exegesis of al-Fatihah and al-Baqarah]. Saudi Arabia: Dar Ibn al-Jawzi, 1st ed.(99/1) .

Muslim ibn al-Hajjaj al-Qushayri al-Naysaburi. Sahih Muslim. Edited by Muhammad Fuad Abd al-Baqi. Beirut: Dar Ihya al-Turath al-Arabi. (1/131), no. 146.

Rafat Said, Muhammad. (1422 AH/2002). The History of the Revelation of the Quran, Mansurah, Egypt: Dar al-Wafa, 1st ed. p. 358.

Al-Banna, Fuad. (2025). Reflection of the Islamic political system in light of the Holy Quran. Tanmyia Journal for Sciences and Knowledge, 2(2), 85.